الكتاب التاسع والتسعون

هل تتساوى مريم العذراء بالمسيح ؟

أدق البحوث فى أخطر القضايا الدينية

بقلم

القس / صموئيل مشرقى

الكتاب التاسع والتسعون

هل تتساوى

مريم العذراء بالمسيح!؟

أدق البحوث في أخطر القضايا الدينية

بقلم
القس صموئيل مشرقي
رئيس مجمع الله الخمسيني

صدر في أكتوبر ٢٠٠١
من كنيسة الله الخمسينية الإنجيلية
٨ شارع أحمد باشا كمال بجزيرة بدران
شبرا مصر- ت٥٧٧٥٦٧٦

اسم الكتاب : **هل تتساوى مريم العذراء بالمسيح !؟**
المؤلف : **القس صموئيل مشرقى**
رقم الإيداع : **٢٠٠١/١٦٩٣٧**
المطبعة : **اوتو برنت ت & فاكس : ٥٨٧١٠٠٢**

مدخل :

مقال مبدأي يكشف عن مواقف معينة تجاه العذراء

نشرته جريدة الأخبار
بتاريخ ١٩٩٧/٩/٧
"منسوب لأحد الكهنة الراحلين"

"تؤمن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ببركة وطهارة وكرامة وشـــفاعة السيدة العذراء مريم – وغيرها من القديسين والشهداء- كما تحظى بمكانة خاصة عند المسيحيين الأرثوذكس الذين يوقرونها...

وأما الكاثوليك فانهم يبالغون في تكريمها لأقصي حـــد!! فـــي حيـــن يخالف البروتستانت هؤلاء وأولئك في هذا الصـــدد إلـــى حـــد كبـــير... فيتوقفون في شأنها عند حدود معينة!!

إلا أن هذا الاحترام والتبجيل لا يصل عند الأرثوذكس إلى حد التأليه، إذ أن الله تعالي لا شريك له في الربوبية، والعذراء نفسها أقرت بذلك في قولها "هوذا أنا أمة الرب" (أي عبدته) (لوقا١:٣٨).

* *

وتعقيبنا هنا نعلنه في عديد من الأسئلة التي تدور حول هذا الموضوع باعتباره أعقد القضايا الدينية وأخطرها وذلك على النحو الآتي:-

هل يمكن أن تتساوى العذراء بالمسيح لكون الذي ولد منـــــها هـــو أقنوم الكلمة الذي جاء وصفه في رسالة يوحنا الرسول الأولـــى: "بأنـــه الإله الحق" (٥:٢٠) ومن بعد ذلك في قانون الإيمان بأنه "إله حق مـــن إله حق"!؟

وهل تجيز ولادته من العذراء – على أساس صفته هذه- تســـميتها عندهم "أم الله" و "والدة الإله" بدون تحفظات!؟

وهل يكون ذلك مدعاة لما نشرته صحيفة الميدان في أواخر القـــرن العشرين عن ملايين الطلبات التي تم توجيهها لبابا الفاتيكان لرفع مرتبة العذراء ومساواتها بالمسيح!؟ وهل تكون العذراء بعـــد ذلـــك مجـــرد أم بشرية لناسوت المسيح، لكونه بولادته منها عن طريق "ســـــر الاتحـــاد الذاتي بين اللاهوت والناسوت- والذي دعـــي بســـببه "الـــرب يســـوع المسيح" فهل هذا يرفعها لمرتبة المساواة به بوجه مطلق حسبما تطلبـــه جموع هائلة من الكاثوليك!؟

وهل حقا ولدت العذراء – مثله- ولادة غير عادية يطلـــــق عليـــها الكاثوليك "الحبل بلا دنس" أي الحبل بها من والديها علي خلاف نـــلموس التناسل أم أنها ولدت كسائر البشر، وإنما توصف ولادتـــها عنـــد غـــير المسيحيين بأن الله قد اصطفاها وطهرها على نســـاء العـــالمين بســـبب إنشاء جسد المسيح الطاهر من أحشائها بالروح القدس دون أن يكـــون لها ولادة مثل ولادته!؟ وهل هناك من دليل يقطـــع بأنـــها قـــامت مـــن الأموات مثله حتى تتساوى معه!؟ وهم قد تدرجوا في الانحراف من هـذا القبيل فبدءوا بابتداع عقيدة "الحبل بلا دنس" "أي ولادتها بدون الخطيـــة الأصلية وكان ذلك بقرار من البابا بيوس التاسع أصدره في عام ١٨٥٤ وبعد حوالي مائة عام في سنة ١٩٥٠ صدر قرار آخر من بابا الفاتيكان بصعودها إلى السماء نفساً وجسداً الأمر الذي بنيا عليهما أنها شـــريكة للمسيح في الفداء!!

وماذا يكون الرد على هذه الأساطير المبتدعة والتي على أساســـها يواجه التقليديون- البروتستانت أي الإنجيليين- بقولهم لـــهم: "أنتـــم لا تؤمنون بالعذراء – ولذلك فأننا لا نأمن لكم ولا يحق التعـــامل معكـــم!! تري أي نوع من الإيمان يقصدونه – وهل هو من نوعية نفس الإيمـــان التقليدي سالف الذكر الذي دارت حوله هذه الأسئلة.

أما زعمهم بأن هذه الأمور المشار إليها هي اعتقادات دينية ممـــا لا يجوز البحث فيه والتحري عن حقيقته فإنما هو نوع من التهرب المقنـــع الذي لا يسانده علم ولا يقره عقل ولا يستسيغه منطـــق"!! ومـــع ذلـــك نجدهم يتمسكون بتلك الاعتقادات المزعومة وقد خرجوا بذلك عن نطـــاق كلمة الله المعصومة!!

فقد أمعنوا في تكريمها استنادا إلى قول الملاك لها الوارد في (إنجيل لوقا١:٢٨) "أيتها المنعم عليها" وجعلوها في ترجمتهم تحمـــل معنـــي: "highly favored" لكي تكون أقرب في معناها إلى التبجيل والتعظيـــم مما إلى التوقير والتكريم - ومن ثم جعلوا لها مدائح تقدم لها واقـــروا بأنه إليها توجه الطلبات وهى بدورها تقدمها إلى أبنها يســـوع. وهـــذا يرفعها بدوره إلى الله - وهكذا احتلت العذراء مركزاً مرموقاً عندهـــم- ولدي التقليديين عامة - فوضعوها بجوار المسيح فـــي صـــور عديـــدة ويحلو لهم أن يقدمونها وهي تحمله طفلاً بين ذراعيها وزعموا أن منها تنحدر البركات وهي التي توزع النعم وهي المعين وقد حلت بذلك مكـــان ابنها الذي جعل عرشه الآن عرش النعمة والذي من حق كـــل مســـيحي بالإيمان أن يتقدم إليه لينال العون مباشرة منه بدون وساطة كـــاهن أو بابا أو قديس أو العذراء!!

* * *

تصدير :

طلب بحث مساواة العذراء بالمسيح

نص الرسالة التي نشرتها جريدة الميدان في هذا الموضوع

بابا الفاتيكان يبحث المساواة بين مريم العذراء والمسيح!

*** حملة موسعة لقبول الفكرة.. والخلافات بين الطوائف المسيحية في الطريق!**

*** سؤال أمريكي: لماذا تحظى السيدة مريم بكل هذه القداسة والتأثير والحب**

*** ٤٠٠ حادث ظهور للعذراء في القرن العشرين.**

* السيدة مريم العذراء التي تحظى بمكانة خاصة في نفوس المسلمين والمسيحيين على حد سواء.. كانت نجمة الأسبوع دون منازع.. والسبب هو ذلك التحقيق الغريب الذي نشرته مجلة "نيوزويك الأمريكية" وطرحت فيه أفكاراً وتساؤلات حول مكانة مريم العذراء ودورها في الكنيسة.. **خاصة في ظل الضغوط المتزايدة التي يمارسها مئات الألوف من المسيحيين الكاثوليك ممن يطلق عليهم "أنصار مريم العذراء" وهم يسعون لانتزاع قرار بابوي من بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني لرفع مكانة السيدة مريم من "أم" المسيح عليه السلام إلى "شريكة" له في تخليص البشرية من آثامها وفي الشفاعة أمام الله!!**

* وكان بابا الفاتيكان قد تلقي الأسبوع الماضي طرداً فخماً من ولاية كاليفورنيا يحتوي على توقيعات مواطنين كاثوليك من ١٢ دولة من مختلف قارات العالم بالإضافة إلى توقيعات أكثر من ٤٠ ألف شخصية عامة من بينهم الأم تريزا و٥٠٠ أسقف و٤٢ كاردينالاً من بينهم كاردينال نيويورك الشهير جون أوكونور..

بالإضافة إلى ١٢ كاردينالاً من الفاتيكان نفسه.. **يطـــالبون جميعـــهم بتأسيس عقيدة مسيحية جديدة تجعل من السيدة مريم "شريكة" المســـيح في خلاص البشرية و "وسيطة" بين الله وعباده في التكفير عن الذنوب..**

وهذا الطرد الذي ليس الأول من نوعه فالبابا يتلقى شهرياً ما يزيـــد على ١٠٠ ألف توقيع حول الموضوع نفسه وخـــلال الســـنوات الأربـــع الأخيرة وصله ٤ ملايين توقيع من ١٥٧ دولة في هذا الشأن.

وفي حالة قبول بابا الفاتيكان لهذه الفكرة وهو احتمال وارد بقـــوة. فسوف يضطر بقية الكاثوليك إلى قبوله. وهنا ثلاث أفكار عقائدية جديدة وغريبة تطرح نفسها عليهم.. فعلي هذا الأساس سوف تصبح الســـيدة مريم شريكة في الخلاص الذي يحققه المسيح وحده وســـيصبح العفـــو والغفران للبشرية الذي جاء نتيجة معاناة المسيح أمـــراً لا يتحقـــق إلا بتدخل السيدة مريم وشفاعتها. وعلى ذلك لابد أن يتوجـــه المســـيحيون بصلواتهم ودعواتهم بالمغفرة للسيدة مريم وحدها.. علـــى أن تتوالـــى بدورها نقلها إلى أبنها "يسوع المخلص"!!

*** وهو الأمر الذي يخالف نصوص العهد الجديد الذي يؤكـــد أن هنـــاك شفيعاً واحداً هو المسيح عيسى: الأكثر من ذلك فإن دخـــول الســـيدة مريم إلى "العقيدة الجديدة" بهذا الشكل سوف يقوض عقيـــدة التثليـــث المسيحية** التى تقوم على الأب والأم والروح القدس. **إذ سيصبح هنـــاك طرف رابع وهو السيدة العذراء التي سوف تلعب أدواراً مختلفة. فهي أبنة الأب وأم الابن وشريكة الروح القدس!!**

* ورغم الانتقادات الحادة التي انطلقت من كل مكان فـــور ذيـــوع هـــذا الخبر.. **فان البروفيسور "مارك مارفيل"** الأستاذ بجامعـــة فرانشيســـكو بولاية اوهايو الأمريكية وقائد الحملة المنظمة "لأنصار مريم العـــذراء" **يؤكد ثقته في أن التغيير المطلوب سوف يصبح أمراً واقعاً بحلول عام**

٢٠٠٠ والذي سوف يكون مناسبة جيدة للبابا لممارسة صلاحيته في العصمة الأبوية أي سلطته في إصدار قرارات منزهة عن الخطأ، خاصة أن هذه الصلاحية لم تستخدم منذ إقرارها عام ١٨٧٤ إلا مرة واحدة عام ١٩٥٠ عندما **أصدر بابا الفاتيكان "بولس الثاني عشر" قراراً يحسم فيه مصير السيدة مريم حيث أكد انتقالها روحاً وجسداً إلى السماء فور وفاتها.. وقد قرر البابا يوحنا بولس الثاني الاحتفال باليوبيل الذهبي لهذه المناسبة بحلول عام ٢٠٠٠** وهو الأمر الذي قد يشجعه أكثر لإصدار قرار بابوي آخر برفع مكانة السيدة مريم إرضاء لرغبات مئات الألوف من أنصارها:

* المشكلة الحقيقية هو أن هذا القرار – في حالة صدوره. سوف يكون أكبر مسمار يدق في نعش التآلف والوحدة بين الطوائف المسيحية المختلفة.. إذ أن هناك مبدأين تنطوي عليهما هذه الفكرة لن يقبلهما البروتستانت – على الأقل مطلقاً. **الأول هو التقليل من مكانة المسيح بإضافة جزء من صلاحياته إلى السيدة مريم خلافاً لما جاء في العهد الجديد.. والأمر الثاني الأكثر استفزازاً لمشاعر البروتستانت هو تزايد سلطة بابا الفاتيكان بوصفه صاحب صلاحيات لإقرار ما يشاء وإلغاء ما يشاء!!**

* ويضاعف من تعقيد المسألة وصعوبتها ارتباط السيدة مريم في أذهان البروتستانت بالتجبر والصلف البابوي الكاثوليكي الذي فرض على المسيحيين فرضاً الإيمان بدور خاص للسيدة مريم لم يكن موجوداً في الإنجيل... وهو الأمر الذي لن يرضي الأرثوذكس أيضاً الذين يتخذون موقفاً معتدلاً ما بين البروتستانت الذين لا يريدون دوراً واضحاً في العقيدة للسيدة مريم وبين الكاثوليك الذين يسعون لرفع مكانتها الدينية أكثر وأكثر!!

* ولن تقتصر الخلافات في حالة إقرار "العقيدة الجديدة" على الطوائف المسيحية الأخرى بل سوف تشتعل داخل صفوف الكاثوليك أصحاب الفكرة أنفسهم. ففي يونيو الماضي نشرت صحيفة الفاتيكان الرسمية خبراً أكدت فيه أن بابا الفاتيكان طلب من لجنة تضم ٢٢ عضواً متخصصين في ما يخص السيدة مريم العذراء دراسة الموضوع.. **وكانت النتيجة بالإجماع رفض الدعوة إلى "العقيدة الجديدة" لما قد تسببه من مشكلات عويصة** – وبعيداً عن الخلافات اللاهوتية والدينية فإن السيدة مريم ليست مجرد شخصية دينية مختلف عليها بل أنها أهم شخصية نسائية في الثقافة الغربية منذ ألفى عام تقريباً فمن أجلها أقيمت أجمل كنائس العالم، ومن أجلها كتب كبار الشعراء من أمثال فيلدن ودانتى وهوبكنز واليون وايدون أجمل قصائدهم، وهي أيضاً التي أوحت إلى الموسيقار شوبرت وعدد من الموسيقيين بسمفونيتة الخالدة "السلام المريمي"... وكان وما يزال مشهد بشارة الملاك جبرائيل لمريم بحملها بالمسيح أكثر المشاهد التي صورت رسمياً في تاريخ الفن الغربي!!

* والمسألة لا تقتصر على الفنون بكل أشكالها التي إستوحت شكل وشخصية العذراء **بل تجاوزتها إلى حوادث الظهور المختلفة التي بلغ عدد المرات التي اعترفت بها الكنيسة ٤٠٠ حادثة خلال القرن العشرين وحده.** وهو أكثر من حوادث ظهور العذراء المسجلة في القرون الثلاث الماضية مجتمعة.. وقد تحولت بسبب ذلك أماكن مغمورة إلى مزارات سياحية أشهرها إقليم اللوفر بفرنسا وفاتيما بالبرتغال وأخيراً "ميت جوبردي" في منطقة البوسنة والهرسك حيث أعلن ستة أطفال أن السيدة مريم بدأت في الظهور لهم منذ عام ١٩٨١، ومنذ ذلك الإعلان تحولت المنطقة المنكوبة إلى مزار سياحي زاره

حتى الآن حوالي مليون سائح من جميع أنحاء العالم. وهذا الأمر حدث في أماكن كثيرة منها مصر حيث تواردت الأنباء مرارا عن ظهور السيدة مريم في كنيسة العذراء بالزيتون وكنيسة القديسة دميانة بشبرا.. وفي أماكن أخري في سوهاج والمنوفية وأخيرا في أسيوط، كما تواردت شهادات عن أن تماثيل للسيدة مريم تتحرك وتبكي وأن لوحات ذاتية لها تنزف دماً... وانتدبت لجان للبحث والتقديس المتزايد!!

كما أن للسيدة مريم مواقعها الخاصة على "الإنترنت" حيث يتابع أنصارها بصفة خاصة والمسيحيون بصفة عامة أخبار ظهورها في كل مكان في العالم. ولا يمر أسبوع إلا وينعقد مؤتمر في مكان ما بالعالم لمناقشة قضية تخص السيدة مريم بشكل أو بآخر!!

* والسؤال المهم الذي يطرح نفسه:" لماذا من بين كل الشخصيات الدينية تحظى السيدة مريم بكل هذه القداسة والهالة والتأثير والحب... الإجابة غير محددة بل ومتعددة ولكنها مقبولة ومفهومة في ضوء فهم خصوصيات الثقافة الغربية بصفة خاصة: **فالسيدة مريم – وهذه حقيقة غريبة- ليس لها تاريخ خاص بها، إذ لم يرد ذكرها في الأناجيل الأربعة إلا مرات معدودة تحصي على أصابع اليد الواحدة، وأحيانا يشار إليها دون ذكر اسمها.. "الأم والعذراء الخ"** فإنجيل مرقص أول الأناجيل... يوحي أن السيدة مريم لم تفهم أو تستحسن ما كان ابنها يدعو إليه (!).. أما إنجيل...متى" فقد اكتفي بذكر الميلاد العذري للمسيح عن طريق أمه العذراء مريم (!) أما إنجيل لوقا فقد أشار إلى مريم مليئة بالخير ووعد بأن الأجيال القادمة كلها سوف تطوبها وتشير إليها " بالمباركة".

أما إنجيل "يوحنا" فقد ذكر وجود السيدة مريم تحت صليب المسيح عند موته موصياً يوحنا باحتضانها!!

* ولأن هذه الإشارات والحوادث مجتمعة متواضعة جداً في مغزاها وتحديد شخصية وتاريخ السيدة مريم فقد ساعد ذلك على اختلاف رؤية كل جيل لها فراح يرسمها بالصورة التي يحبها ويراها..

ومن ثم بدأت شخصية السيدة مريم تكبر وتتعاظم شيئاً فشيئاً حتى حلت هذه "الأم اليهودية" كما يقول كينيث الوودوارد في مجلة نيوزويك محل أشهر الآلهة الوثنية "مادونا" التي تمنح الحياة و "بيانا" أو "المنتخية" التي تستقبل الموتى...

* كما أن السيدة مريم ظلت دائماً رمزاً للعفة والطهر وإنكار الذات..

ولأن المعلومات الواردة عنها في الأناجيل قليلة كما ذكرنا فإن جهود رجال الدين الكاثوليك لم تتوقف في محاولاتهم للبحث عن تاريخها ودورها.. فيما هو خارج عن الانجيل!!

وقد حددت ثلاثة قرارات بابوية سابقة معالم شخصية السيدة مريم كان أولها في عام ٤٣١ ميلادية عندما **صدر القرار المجمعي بجعل لقب "أم الله" لقباً رسميا للسيدة مريم** وأضيف إلى ترانيم الأدعية والصلوات.. ثم صدر قرار بابوي آخر في عام ١٨٧٤ **يؤكد أن السيدة مريم قد حفظت – بأمر من العناية الإلهية من الخطية فحبل بها بلا دنس!!**

ومن هذا كله خرجت من الكنيسة شخصية السيدة مريم الأم الحنون الذي تحذر من الحروب والدمار إذا لم يسع الإنسان للندم والتوبة عن آثامه وأخطائه..

وبدأت مشاهد ظهورها تتكرر خاصة بالنسبة لأطفال الفلاحين البسطاء من المسيحيين الذين يرون فيها رمزاً لكل ما هو خير وجميل...

* وشعار البابا يوحنا بولس الثاني معروفاً للجميع **"كله إليك".. يقصد السيدة مريم** وحبه لها معروف أيضاً.

فالبابا يؤمن بأنها هي التي حفظت حياته من محاولة اغتياله عام ١٩٨١.. واهتمامه بها وذكره الدائم لها لافت لأنظار الجميع **فهو نادرا ما يلقي خطاباً أو يكتب رسالة دون الثناء على السيدة مريم العذراء ومن المعتاد بالنسبة له أن يستخدم في وصفها كلمات مثل "الوسيطة" أو "الشفيعة".. بل وأحياناً "الشريكة في الخلاص" وهو ما يزيد أنصار مريم طمعاً في تأييد البابا لهم..**

ولكن يظل قرار البابا النهائي غير معروف فمن الصعب حتـــى الآن استقراء وجهة نظره النهائية وأن كان الأمل معقوداً كما يتمني كاردينـــال نيويورك المعروف "جون أوكونر" أن يجد البابا صيغـــة لغويـــة للمبـــدأ العقائدي الجديد تكون أقل استفزازاً لمشاعر المسيحيين المعارضين **لكـــن المشكلة كما يقرر الكثيرون ليست في اللغة فالأب "جون روتز" رئيـــس معهد مريم الدولي يري في الأمر كله مضيعة لجهود الكنيسة على أمـــر غير ذي أهمية** ويقترح بدلاً من قلب المائدة على رؤوس الجميع الاكتفـــاء بتكريم السيدة مريم بعيد جديد أو لقب جديد يضاف إلي ما كان لها من قبل عندما دعيت "أم الله" و "والدة الإله" بهذه الصيغة التي تلتحـــم بـــاللاهوت دون أن يردفوا ذلك بالنص الكتابي بأن وضعها هكذا إنما ينحصر في أنـــه "من نسل داود من جهة الجسد" (رو ١:٣) والنص الآخـــر الـــذي يقـــول: "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركاً إلى الأبد. آمين" (رو ٩:٥)... **وهكذا اختلط الأمر في هذا الموضوع الخطير وحدث بسبب ذلك التجاوز الانحرافي الذي بموجبه ساووا بين العذراء والمسيح في كل شئ تقريباً، واصبح هذا الأمر ساري المفعول حتى الآن**، حتى وأن كـــان الأرثوذكس يتحفظون بنسبة ما عن الكاثوليك ويظـــهرون الإقـــرار بـــأن العذراء إنما هي مجرد شخص بشري مخلـــوق، لكنـــهم يتبـــارون مـــع الكاثوليك في تكريمها وتعظيمها، **ولأن شأنها عند الكاثوليك أعظم لذلـــك فها هي طلبات هؤلاء بمساواة العذراء بالمسيح تتجمع بالآلاف لدي بابـــا الفاتيكان وتطالبه بإصدار قرار بهذا الأمر!!**

ومن الغريب هنا زحف الكاثوليك بوجه عام نحـــو إقـــرار مســـاواة العذراء بالمسيح برغم من أن إيمان كنيسة روما بلاهوت المسيح صـــادق وحق وأنه إله حق من إله حق – ولكن المطلب المشار إليه يقف عـــاثوراً في طريق المسيح لأنه يضع مريم في مساواة معه ولكننا نحمـــد الله لأن ملايين منهم الآن اخترقوا هذا الحاجز وبدلاً من أن يقول: "أننا لرومـــا" أو "أننا لمريم" نجدهم يقولون "إننا للمسيح".

الفصل الأول

الموقف الإنجيلي المعتدل يمثله الخمسينيون الأحرار

"إلى كل من يعنيه أمر الحقيقة ومعرفتـــها لذاتها ولكونها طريق الحياة الأبدية تنويـراً للأذهان وخلاصاً من إشراك الشيطان"

*** العودة إلى عصر المدافعين :**

من عادة الشيطان على مدي الزمان طمس الحقيقـــة حتـــى تصبـــح غامضة وادي من الحيرة ومضلة للإفهام لكي يبعد الناس عـــن طريـــق الخلاص...

وأما الله من جانبه فأن له شهوده الأمناء الذين يشرق عليـــهم بنـــور الإعلان الكامل ويقيمهم لاستئناف عصر "المدافعين" الذيـــن قـــاموا فـــي زمانهم وإلى الآن باستجلاء معرفة الحقيقة والدفاع عنها مستخدمين فـــي ذلك حجة المنطق واقتناع العقل، **وذلك ليس بقصد الإحراج بل لأن الحـق أولي أن يتبع ولأننا لا نخشى في قول الحق لومة لائم...**

وأننا نقدم هذا الشرح نوضح به سبيل الرشاد أمام كل جاد يريـــد أن يسلك هذا السبيل، فلسنا هنا في مجال يجوز فيه التشاحن والاحتـــداد، أو ممن يحاولون إيجاد الحلول الوسط التي تقوم على اقتراحات بما ينبغي أن تكون عليه العقيدة في هذا الشأن أو ذاك كما فعـــل احدهـــم فـــى نبـــذة "الإنجيليون والسيدة العذراء"، وإنما نحن من الباحثين عن الحق المتمسكين به بكل يقين!!

*** يذكر واضع هذا الكتاب في مؤلفه رقم ٥٠ المعنون: "الألوهية من وجهة نظر المسيحية في الصفحات (٤٨-٥٢) عن البتولية الدائمة لمريم العذراء ما يآتي نصه:-**

"يتمسك التقليد الجامع (أي المتفق عليه منذ العصور القديمة) ببقـاء مريم عذراء وعدم ولادة أولاد منها غير يسوع وذلك بسبب مـــا يحيـــط

بسر التجسد من هيبة ووقار... وبالرغم من أن بعض المفسرين يميلون إلى الصمت دون الخوض في هذه البتولية الدائمة وعدم القطع في شأنها برأي، بل أن البعض يظن أن المتمسكين بها يفعلون ذلك على حساب الخفض من شأن الزواج وتعلية شأن البتولية عليه، إلا أن تساؤل القدماء في هذا الشأن بقولهم: "أفلا يكون من الأرجح أن التي ولدت المسيح الإله" لا تلد سواه!؟ "مما يجعل كفة البتولية الدائمة هي الراجحة.. يؤيد ذلك ما قاله القديس ابيفانوس: "أين، وفي أي عصر، وجد إنسان فيما بين المسيحيين قد نطق باسم مريم بدون أن يتبعه حالاً بلقب العذراء أو البتول".

* *

*** ولا يفيد القول بأن: "يوسف لم يعرفها حتى ولدت أبنها البكر" (مت١:٢٥) بأنه عرفها فيما بعد وعاشا في وضع مختلف عما كان الحال عليه قبل ولادة المسيح** – فقد ترجمت لفظة "حتى" الواردة هنا بلفظة "إلى" في مراجع أخرى – ومع أن كلمة "حتى" تعنى لغوياً "لأمد معين"، ولكن قد يكون القصد منها أحياناً استمرار الحالة التي قبلها لتستمر أيضاً بعدها إلى ما لا نهاية، فقد قيل مثلاً عن ميكال بنت شاول: "لم يكن لمكيال ولد إلى يوم موتها"(٢صم٦:٢٣) أي أنها لم تلد أبداً حتى موتها... **وبذلك يكون قصد الوحي في شأن مريم العذراء أنها كانت بتولاً عند ولادة المسيح – دون أن يقصد بذلك ما يساور المتشككين في دوام بتولية العذراء ...**

* وأما لفظه "البكر"، فأنها لا تقرر بأنه كان لمريم أولاد من يوسف بعد المسيح لأنه كما يقول ليتفوت: "أن الناموس وهو يتكلم عن البكر، لم ينظر إلى اعتباره هكذا بالنسبة لمن يولدون بعده وهل يوجدون أم لا – وإنما ينظر فقط إلى كونه المولود الأول الذي لم يسبقه مولود آخر – وإذاً لم يكن القصد من وصف يسوع "بالبكر" أن مريم ولدت خلافه،

بل يقصد به أنه قد تمت فيه النبوة القائلة: "كل فاتح رحـــم (أي بكـــر) يدعي قدوساً للرب" (خر١٣:٢) ومن المعلوم أن المســـيح دعـــي فـــي رسالة كولوسى "**بكر كل خليقة**" حتى يتم فيه القول: "**ومتى أدخل البكـــر** إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله" (عـــب١:٦)، كمـــا أننـــا لا نستطيع أن نجعلها قاعدة بأن كل من بكرت لابد أن تثني!!

* *

* ورغم كل هذه الحقائق الناطقة يتصدى مؤلف كتاب: "المسيح إنســلن أم إله" – بعد تخليه عن المسيحية– لهذه البتولية الدائمـــة فيتـــهكم عليـــها بالقول:–

لو تصورت مريم أن في عيسى شيئاً ينأى به عن مرتبة البشر لمـــا عادت وزوجها الاتصال ببعضها لإنجاب المزيد من الأبناء والبنات أخـوة عيسى، ولنفرت من زوجها "يوسف" وترفعت عنه **فهي أم إله وليســت أم إنسان، وأم الإله لا تلد من هم مجرد بشر، فهي يقيناً لا تعاشر الرجـــال ولا تنجب الأطفال**، ولكن مريم الإنسانة أم عيسى الإنسان عاودت الحمـــل والولادة من زوجها يوسف فأنجبت له بنين وبنات" (ص٤١).

ولسنا ندري من أين جاء هذا الكاتب العبقري بهذا التأكيد القاطع في أمر يستحيل الجزم فيه بمثل هذه السهولة المتناهية!؟

ولكنه على كل حال قد كشف النقاب عـــن الحقيقـــة وهـــو يحـــاول إنكارها، فأننا نراه أمراً مؤكداً بنفس أقواله المثيرة هذه أن يكـــون مـــن طبيعة الميلاد العذراوي نفسه واللياقة الواجبة به أن تكرس مريم نفسها فعلاً لبتولية دائمة إذ أنها بعد أن ولدت من هو إله لا يجوز في حقها أن تلد سواه – وهذا يؤيده قول وارد من خارج المسيحية بأن الله أصطفـــي مريم وطهرها دون نساء العالمين!!

وأما ما يخالف ذلك فيعتبر تقولات على مريم في درجة مساوية للكفر إذ هو بهتان كاذب يستحق فاعله العقاب الإلهي!!

فلا الكتاب المقدس ولا التاريخ الكنسي ولا المنطق السليم، ولا هـــذه كلها معاً تستسيغ مثل هذا الاعتقاد المخالف والسخيف أو تؤيده، بل أنه ما أجّل أن يكون يسوع الابن الوحيد لأمه على الأرض، كما أنه الابن الوحيد لأبيه في السماء!!

* *

* **هذا وقد اختلف الرأي من جهة أخوة المسـيح المشـار إليـهم فـي الأناجيل والرسائل – وهل هم اخوة أشقاء – أي بالمعني البيولوجـي** أي الجسدى (كما يزعم موريس بوكاى العصـري) أم **أخـوة غـير أشقاء من أم أخري سبق ليوسف أن تزوجها مثلاَ، أم أنـهم بحسـب الطريقة الشائعة بين اليهود حينئذ. والتي لا يزال صداها في بعـض الأوساط إلى اليوم – اعتبروا أخوته وهم في الواقع أبناء خالته!؟**

أما بالنسبة للرأي الذي يقول بأنهم أخوة أشقاء فيفنده أن يوحنا الحبيب كان الشخص الذي ائتمنه "المسيح" على "مريم" أمه عند الصليب بقوله لـه "هوذا أمك" فأخذها إلى خاصته (يو١٩:٢٦،٢٧) **وهذا العمل من جانبه لا يبدو في محله فيما لو كان ليسوع أخوة أشقاء من أمه!!**

ويبدو أن يوسف قد اختفي من المشهد سريعاً لانتهاء حياته بالوفـاة – أما من يشير إليهم الإنجيل بأنهم "أخوة المسيح" **فلا يمكن إذاً أن يكونـوا أشقاء له أي أتوا بعده وأصغر منه سناً، وإلا فانهم كانوا يقبلون زعامته** وهذا أمر معقول في حين أن الإنجيل يسجل عليهم بأنهم لم يكونوا يؤمنون به في البداية **مما يبدو منه واضحاً أنهم كانوا أكبر منه سنا، وليسوا لـه بالميلاد من العذراء!!**

ونعلم من نصوص الكتاب أن هؤلاء المدعوين "أخوة المسيح" لم يـرد ذكرهم أو الإشارة إليهم في طفولة يسوع ولا في صبوته ولا في المـدن التي كان يعيش فيها يوسف النجار، بل بدأ الحديث عنهم بعد دخول السـيد

المسيح في خدمته الجهارية... وهم الذين وردت أسماؤهم في الإنجيل وضمنها اسم "**يعقوب**" **أخو الرب**، وكان رئيساً لمجمع أورشليم (غل١:١٩) – وواضح أنه ليس هو يعقوب ابن زبدى أخو يوحنا وهو الذي قتله هيرودس – وإذاً **فالمقصود به يعقوب ابن حلفى** وكان له أخ اسمه يهوذا وهو المسمى لباوس أو تداوس ويعلن عن نفسه في فاتحة رسالته بالقول: "يهوذا عبد يسوع المسيح أخو يعقوب"! **والمؤكد أن "حلفى" أباهما هو نفسه "كلوبا زوج مريم أخرى هي أخت مريم العذراء"** (يو١٩:٢٥) ومن أولادها كما ورد في (مت ٢٧:٥٦ ومر ١٥:٤٠ ولو٢٤:١٠) يعقوب ويوسى ويهوذا **وهؤلاء الثلاثة إذاً هم أولاد حلفى** وهم من ضمن أخوة يسوع الأربعة المذكورين في (مت١٣:٥٥) وإذاً فالمشار إليهم بأخوة يسوع المذكورة أسماؤهم في هذه **النصوص إنما هم أولاد خالته مريم زوجة كلوبا (حلفي)** وكان الاصطلاح شائعاً أن يدعي أبناء العم أو الخالة أخوة... فلا غرابة إذاً في ذكرهم كأخوة يسوع.. وكل ذلك يؤكد صدق وصف العذراء بالدائمة البتولية!!

* زعم مؤلف كتيب "تعليم كنيسة الإسكندرية" بان البروتستانت يؤيدون اعتقاد نسطورٍ الذي نفي الاتحاد الذاتي بين اللاهوت والناسوت واعتبر المسيح إنساناً عادياً حل فيه اللاهوت، وكانت طبيعته الإنسانية قابلة للخطأ.. وقد نسب ذلك المؤلف هذا التأييد للبروتستانت لكونهم لا يقبلون تلقيب العذراء بوالدة الإله وفقاً لما يسميها به أهل التقليد "ثيئدتوكس" "seotokos" وهى كلمة تحمل نفس المعنى المشار إليه :

ومع أن السبتيون بالذات هم الذين يرددون هذه البدعة كما وردٍ في كتابهم "الكتاب يتكلم" في ص١٩٧ وقد رددوا في هذا المجال ألفاظاً بالغة الجرأة ومتناهية الوقاحة في مجاهرتهم بأن المسيح لم يولد من أم خالية من الخطية وبدون الميل الخاطئ إذ يعتبرون ذلك فكرة مغلوطة إلى آخره.. وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل اعتبروه أمرا لازما لمشاركتنا!!

وبذلك لا يكون مسيحنا هو المسيح الذي يؤمن به السبتيون انــه ورث الطبيعة الساقطة كسائر أبناء آدم – اعتقادهم هذا يؤدي إلى اشتراك الإلــه القدوس في طبيعتنا النجسة – إلا انعم واكرم بمسيح السبتيين الذي هو أقل بمراحل من عيسى المسيح عنــد المســلمين الذيــن يؤمنــون بعصمتــه وقداسته... وأننا لنأسف لأن الأمر اختلط على ذلك الكاتب الحصيف مــن باب التحامل على البروتستانت ليس إلا...

وقد رددنا عليه في كتابنا "مسك الختام في الإلهيات (صفحتي١٤،١٥) وقد ورد به ما نقتبس منه ما يناسب المقام هنا من عند القول: "**والواقــع أننا نؤمن بالاتحاد الذاتي بدون انفصال، ووحدة الأقنوم بغــير ازدواج، وأن الذي ولد من العذراء هو "عمانوئيل" الذي تفســيره "الله معنــا" أو "الإله المتأنس"، وإنما نري مراعاة لأمانة الحق ضرورة إضافة التعبــير الكتابي "من جهة الجسد" أو "حسب الجسد" (رومية١:٣،٩:٥) إلى لفظــه "والدة الإله" فيكون التعبير الصحيح هو أن "العذراء والدة الإله من جهــة الجسد"!!**

فهي والدة الإله – حسب الجسد – باعتبار أنها ولدت إلهاً متأنساً مــع أنها أم الناسوت فقط، **لأنه من المسلم به أن العذراء لم تلد اللاهــوت ولا شأن لها به فهي ليست أقنوماً رابعاً فيه حتى تكون موضوعــاً للعبــادة والشفاعة!!** ومن ثم فإنه مع جواز تسميتها السابقة بالإضافة المقترحــة – وهذا وصف لائق ومنضبط وكذلك تسميتها "أم النور الحقيقي" باعتبار أن المسيح هو النور الحقيقي الذي جاء إلى العالم ليكــون "المخلّــص" **إلا أن تسميتها "بوالدة الإله" و"أم الله" بالإطلاق بدون تحفظات أمر غــير وارد ولا موافق عليه من كلمة الله بشكله هذا** – وشتان بين هذه الحقيقة ومــا ذهب إليه نسطور في بدعته التى ورثها عنه السبتيون!!

مما أوصله إلى اعتبار المسيح إنساناً عادياً ولدته العذراء ثم حل فيه اللاهوت بإرادته أي بالمصاحبة لا بالاتحاد، وهذا يخالف الحق الكتابي الذي نؤمن به فيما يختص بالتجسد!!

وقد ورد في كتاب "تاريخ الفكر المسيحي" للدكتور حنا الخضرى ما يأتي بيانه:-

"ويحذر كارل بارت من خطر الانحراف بمفهوم حلول الروح القدس على مريم العذراء عند التحدث عن الميلاد العذراوى والتدخل الإلهي فيه بأنه لا يشير من قرب أو بعد عن زواج مقدس بين الله ومريم – فهذه فكرة وثنية لا تستحق سوى الرفض الكلي، لأن الله يعمل كخالق وليس كعشيق... وحاشا أن تكون علاقة الروح القدس بمريم علاقة زواج على طريقة الأساطير القديمة... ومن ثم لا مكان للزعم بأن الروح القدس قد اصبح بذلك بمثابة أب ليسوع لأنه لم يولد منه بيولوجياً بطريقة التناسل المألوفة لدي البشر، وإنما كان الحبل به من الروح القدس بطريقة خاصة كسر فائق لا يمكن إدراكه البتة بالعقل البشري ويعرف عندنا "بسر التجسد"!!

أما تخصيص صوم للعذراء إمعانا فى تمجيدها فقد ورد عنه فى كتاب للأب متى المسكين عنوانه "صوم العذراء وعيدها ص٣" بأن الكنيسة الارثوذكسية لم تقر صوما للعذراء حتى القرن الحادى عشر ولم يكن هذا إلا تعليما مستحدثا لا يتفق وكلمة الله".

ومن المؤكد بحسب الرأى المتواتر : **"ان الايمان لا يتعارض مع التفكير العلمى بل يقود للاستنارة به وليس للهروب من الواقع أو العبث به بخلطه بأمور دخيلة لا تمت له بصلة"!!**

* * *

الفصل الثاني

كرامات مريم العذراء التى مهدت لعبادتها

"سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء" فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى" (لو ١:٢٨،٤٨).

* تطويب مريم المباركة ومداه :

كتب القس بنيامين شيندر كتابا عنوانه: "ريحانة النفوس في أصل الاعتقادات والطقوس" ظهرت الطبعة الثالثة منه في بيروت ١٨٨٩ – وهو أدق بحث تاريخي في حقيقة نشأة الطقوس والأعياد التي أصبحت صلب الديانة الطقسية فيما بعد.

وقد وردت فيه فصول خاصة بمريم العذراء نبدأ الاقتباس منها في هذا الفصل على الوجه الآتي:-

"لا يوجد في الكتاب المقدس ذكر لتقديم كرامة دينية خاصة إلى مريم العذراء..مع أنه قد تضمن الأنعام عليها وأنها المباركة في النساء في بشارة الملاك لها، وهي نفسها إذ حل عيها روح الله تنبأت قائلة: "يعطيني الطوبى جميع الأجيال"، **إلا أنه لا ينتج من عبارات مثل هذه أنها تكون موضوعاً للعبادة، ولا يوجد في كل العهد الجديد آية واحدة تثبت عادة مثل هذه، ولا يوجد شئ مما عمله الرسل يعطي وجهاً لذلك"!!**

ونحن لا نقول ذلك على سبيل الاحتقار لمريم المباركة، لأنه من حيث هي والدة ربنا يسوع المسيح وقد تطهرت بالحلول الإلهي إذ قد وجدت نعمة عند الرب تستحق منا الكرامة، **ولكن تطويبها بذلك وتكريمها ليس هو عبادة كما لا يخفي!!**

نعم أن العذراء كانت عذراء ومكرمة، إلا أنها لم تعط لنا لكي نعبدها، بل هي نفسها كانت تعبد الذي ولد منها حسب الجسد، ومهما

تكن الخدمة التي حسبت بأنها أهلاً لها – **وكذلك ما ينسب لغيرها من القديسين والقديسات– إلا أنه لا يجب أن يستحوذ علينا هذا الضلال القديم حتى نترك الله الحي ونعبد الأشياء المصنوعة منه فنصبح بذلك من الذين اتقوا وعبدوا المخلوق** (رو ١:٢٥) ومن ثم لا يجب أن تقدم العبادة لمريم ولا لأي من القديسين أو القديسات، لأن ذلك ضلال مبين!!

*** عبادة مريم كانت غير معروفة إلى نهاية القرن الرابع :**

كانت عادة الكنائس في الأربع مئة سنة الأولي مطابقة بالتمام لهذا الرأي سالف الذكر، ومن ثم فأن عبادة مريم كانت أمراً غير مسموع به في خلالها، وهذا الأمر لا يمكن إنكاره (سيجل تاريخ كنائس مجلد ٣ وجه ٣١٨) **إذ لا يوجد لذلك أثر في قوانين الإيمان القديمة ولدي أقدم الآباء والمؤرخين، وهم إما أن لا يقولون شيئاً بالكلية عن مريم العذراء، وإما أنهم يكتفون بمجرد تسميتهم لها: "والدة مخلصنا"**. وهذه التسمية موجودة أيضاً في أقدم قوانين الإيمان.. (سيجل تاريخ كنائس مجلد ٣ وجه ١٨٣).

ومن سكوت أضداد كثيرين للديانة المسيحية مثل يوليانوس وكلسوس وبروفيروس وهيركلس، **يتضح أنها (أي العذراء) لم تكن موضوعاً للعبادة إلى القرن الخامس!!**

فأن هؤلاء الأضداد عاشوا في القرنين الثالث والرابع، كانوا من اشد الأعداء للديانة المسيحية، ولو قدروا أن يجدوا دليلاً لهذه العبادة، لكانوا اعترضوا بها على هذه الديانة الحديثة!!

بل أن كثيرين من آباء الكنيسة الأقدمين اعترضوا على عبادة مريم عند ظهورها مثل ايريناوس وترتوليانوس واوريجانوس وباسيليوس وفم الذهب واغسطينوس...

*** ظهور تأليه مريم وعبادتها في القرن الخامس الميلادي:**

وهذه حقيقة يذكرها الراحل عوض سمعان في كتابه: "الله ذاته ونوع وحدانيته" في صفحتى ١٢٧،١٢٨ على الوجه الآتي :-

* لقد ظهر تثليث آخر رفضته المسيحية مستنبط من بدعة تأليه البعض للعذراء وإنكار البعض الآخر لاهوت المسيح والعذراء لم تكن إلا بشراً مثلنا، والمسيح وان كان قد بدا كبشر، إلا أنه كان في جوهره هو الله متأنساً...

هذا التثليث المبتدع الذي فيه وضعت كلمة "الأم" مكان الروح القدس فصارت صيغته "باسم الأب والأم والابن" هو الذي ورد عنه في سورة المائدة١١٦ القول: "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" وهذا انتقاد لبدعة اتخاذ مريم والمسيح إلهين من دون الله أو اتخاذهما معه إلهين – فمن هم المشار إليهم هنا، لأن هذه البدعة ليست من عقائد المسيحيين قط..

أما إذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن بعض الدخلاء على المسيحية كانوا **قد نادوا في القرن الخامس بالعذراء الإهة عوضاً عن "الزهرة" ملكة السماء التى كانوا يعبدونها قبل انضمامهم الظاهري إلى المسيحية، ولذلك أطلقوا على أنفسهم "المريميين"** وبمجرد ظهورهم اعتبرتهم الكنيسة من الزنادقة وفصلتهم من دائرتها فصلاً نهائياً كما قاومت بدعتهم بكل الحجج الكتابية وغير الكتابية، ونهت المسيحيين عن الاختلاط بهم والتعامل معهم، ولذلك لم ينته القرن السابع حتى كانت هذه البدعة قد اندثرت اندثاراً تاماً.

* ويلحق بهذه البدعة المستوردة من الوثنية التي كانت تعتقد أن ألهتها تتزوج وتنجب **بدعة تصور عابدي مريم بأن الله – تعالى الله عن تصوراتهم- اتخذ زوجة مثل هذه الآلهة وأنجب منها ولداً... ولكن الكنيسة قد قاومت هذه البدعة بشقيها** بمجرد ظهورها فاندثرت كلية قبل نهاية القرن السابع!!

وكانوا يطلقون على أنفسهم المريميين وأيضاً اسم الكوليريديانين نسبة إلى اسم الفطير أو الكعك الذي كانوا يقدمونه حسب زعمهم إلى العـــذراء على مثال ما كانوا يفعلونه في عبادتهم الزهرة أو ملكة السماء من قبل.

والزهرة هذه كانت تعبد في الشرق والغرب معا فهي فينس الرومان وأفروديت اليونان واشتار البابليين وعشتاروث الفينيقيين، وقـــد انتقلـــت عبادتهم إلى جماعة من بني إسرائيل في الزمن القديم فعاقبـــهم الله علـــى ذلك أشد عقاب (أر٧:١٨، ٤٤:١٨وحزقيال٨:١٤-١٨) (تاريخ الكنيســـة لموسهيم٢ف٢٥ وكتاب القول الابريزي للمقريزي ٢٥،٢٦ وكتاب الجريدة النفسية في تاريخ الكنيسة ص١١٣).

* وظهر ابيفانوس في عصر الآباء وقام يشجب هذه البدعة الدخيلة: فـهو يعتبر جماعة من النساء هراطقة لأجل أنهما كن في عبادة مريم (عـــن الهرطقات هرطقة ٧٨ فصل ٢٣ وهرطقة٧٩) وهؤلاء النســـوة كنـــا يدعون كوليرديانيين، وكانت عادتهن أن يعبدن مريم نظير إله بتقديـــم كعكاً لها، فانهن حين كن في ديانة الأوثان كان من عادتهن أن يقدمـــن نوعاً من الكعك للزهرة التي هي إلاهة وثنية، فلما صـــرن مســـيحيات افتكرن أن هذه الكرامة يجب تقديمها بالأولي إلى مريم (موسهيم تـــاريخ كنائس كتاب ٢ جزء٢ رأس ٥ فصل ٢٥).

وكلام أبيفانوس الذي أشرنا إليه ضد هؤلاء النساء هو قوله: "أن جسد مريم طاهر حقاً ولكن ليس إلها.. ولهذا يحذرنا الإنجيل بكلام الرب نفســـه قائلاً: "مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد" (يو٢:٤) حتى أنه من قولـــه هذا لا يظن أحد أن العذراء هي أكثر من امرأة، وقد دعاها بذلك وكأنـــه يتنبأ عن الانشقاقات والهرطقات التي كانت عتيدة أن تحدث على الأرض، لكي لا يسقط أحد في هذه الجماعة الهرطوقية ويقدم لها إكراماً مفرطـــاً... فإن هذا الموقف يستحق الضحك **وهو من الخرافات القديمـــة النســـائية،**

فأية عبارة في الكتاب تخبرنا عنها أنها تعبد، ومن من الأنبياء سمح لـه أن يعُبد وهو إنسان حتيٍ لا نقول أن العبادة تصح لامرأة هـي كسائر النساء بالطبيعة- ونظراً إلى العقل والحاسة هي مكرمة جداً - وأن أردنا أن نذكر شيئاً في مديحها تقول أنه كما أن ايليا كان نظير بتول منذ ولادته ولبث هكذا دائماً إلى أن أُخذ إلى السماء من دون أن يعاين الموت، وكما كان يوحنا الذي اتكأ على صدر المسيح وكان الرب يحبه، كذلك كانت مريم، إلا أنها كانت أطهر بسبب الخدمة التي حسبت أهلاً لها... ولكن لا يجب أن يُعبد إيليا وإن كان بين الأحياء ولا يوحنا وأن كان بسبب صلواته قد جعل موته عجيباً... لأنه إذا كان لا يجوز تقديم العبادة للملائكة، فكم بالأولي لا يجوز تقديمها للتى ولدت من حنة وأعطيت لها من يواكيم، التي أعطيت لأبيها وأمها بواسطة الصلاة بلجاجة وبالوعد، **ولذلك فقد ولدت ولادة لا تختلف عن غيرها ولا تغاير الطبيعة بل كسائر الناس من زرع رجل وأحشاء امرأة**، لأنه لا يمكن لأحد أن يولد على الأرض ضد طبيعة الناس، **إلا أن الله قد جعل للمسيح وحده فرق، وله وحده خضعت الطبيعة، وهو كخالق وحاكم على المادة جبل جسده من العذراء**، وهو الله نازلاً من السماء "الكلمة" **متخذاً جسداً عن العذراء الطاهرة، لا لتعبد ولا حتى ليجعلها إلهاً ولا لكي نقدم نحن شيئاً لا يحقها... فلنكرم مريم ولكن ليعبد الله الآب والابن والروح القدس ولا يعبد أحد مريم.** إلى هنا كلام ابيفانوس (بانورمانانوس ضد ٨٠ هرطقة مجلد٢ كتاب ٣).

*** النزاع مع النساطرة وردود فعله :**

عندما ظهر نسطور قال أن المسيح مجرد إنسان ولد من العذراء واتحد به اللاهوت فيما بعد، واستحضر الأرثوذكس عبارة "والدة الإله" و"أم الله" لمواجهة بدعته، ولكن في قولهم هذا - بدون تحفظ- تجاوزوا به حدود الحق الكتابي، الأمر الذي أدي بهم إلى اختراع نظرية أن للمسيح طبيعة من طبيعيتين ومشيئة من مشيئتين بدون سند كتابي، الأمر الذي أوجد أول انقسام بينهم وبين الكاثوليك...

وهكذا ظهر في وقت الجدال مع النساطرة ولأجل الرد عليهم لقب "أم الله" لمريم، وهذا اللقب كان سبباً كبيراً لإنشاء عبادتها واثباتها:

فإن كيرلس أسقف الإسكندرية الذي توفي سنة ٤٤٤م وبروكلس أسقف القسطنطينية الذي توفى سنة ٤٤٦م هما أول من أعطياها عبادة دينية (كولمان وجه ٤٤٠ وسيجل مجلد ٢ وجه ٣١٩).

وكان أول من حكم بصحة استخدام هذه العبارة المجمع السابع العام الملتئم في القسطنطينية سنة٦٩٢م المسمي مجمع ترواللو...

وهكذا بدأت عبادة مريم بالتحقيق أثناء القرن الخامس ولكنها لم تعم وتمتد أكثر إلا في أواخر القرن السابع وأول القرن الثامن.

*** الأسباب التي أدت إلى عبادة مريم كما هي مذكورة في كتب مؤرخي الكنيسة: (كما وردت في سيجل تاريخ كنائس مجلد ٣ وجه ٣١٩ و٣٢٠ ومسهيم مجلد وجه ٣١١و٣١٢) وهي كالآتي:-**

السبب الأول : هو اجتهاد المسيحيين بعد القرن الرابع في إدخال كثير من الآراء الأساسية من ديانة الوثنيين ومزجها بالديانة المسيحية: ووجد ميل إلى ذلك في أواخر القرن الثالث وزاد الأمر على الخصوص في القرن الرابع وما بعده فيما بين المسيحيين كما يشهد جميع المؤرخين الكنائسيين – ويمكننا أن نستشهد بسهولة بمؤرخين كثيرين لهذه القضية في المراجع سالفة الذكر!

وأصبح من الأمور المثبتة جداً أن الوثنيين كانوا يعترضون على الديانة المسيحية بأنها خالية من الطلاوة. ولأجل دفع هذا الاعتراض أدخل المسيحيون تعاليم وعوائد وثنية إلى الديانة المسيحية لكي يرضوهم ويستميلوهم إليها. وإذ كان كثيرين من المسيحيين محدثين في الإيمان، فقد كانوا قد تركوا العوائد الوثنية من برهة يسيرة، لذلك فأنهم قبلوا هذه العوائد الوثنية بأكثر سرعة، ومثال ذلك أن أشباهاً كثيرة لآلهة

وثنية نقلت إلى المسيحية... بل أن بعض المؤرخين القدماء يذهبون إلى أن الأيام المكرسة لمريم كانت قديماً أعياداً وثنية من قبل!!

السبب الثاني : هو اعتقاد الناس في ذلك الوقت بفضل العفاف والعيشة البتولية الذي ساد في القرن الرابع حتى أن كثيرين من الآباء القدماء قد تمسكوا بهذا الاعتقاد: وواضح ذلك بالأكثر من المدائح البابلية التي مدحوا بها البتولية، مما جعل من شأن هذا الاعتقاد توجيه العقل إلى مريم كمثال عظيم كامل للبتولية مما يزيد اعتبارها ويسهل الطريق لتقديم العبادة الإلهية لها...

السبب الثالث : هو عادة تقديم الكرامة الخصوصية للشهداء وأجراء العبادة على قبورهم واستدعائهم وقت الحاجة باعتبارهم شفعاء عند الله الأمر الذي ابتدأ في أواخر القرن الرابع وأما كون **هذه الكرامات الباطلة للشهداء والقديسين التي لم تكن في الابتداء** إلا إقتداء بالوثنيين قد انتقلت من الآلهة الوثنية إلى الرسل أولاً ثم إلى الملائكة ثم إلى مريم العذراء أخيراً فقد اتضح ذلك جلياً من شروسك في تاريخه الكنسي (جزء٩ وجه ١٩١).

السبب الرابع : هو قيام كنائس على اسم مريم فأنه في سنة ٤٣١م دعيت كنيسة في أفسس "كنيسة مريم"، بما أن هذا الأمر يذكرونه ليس كأنه على غير مألوف العادة يظهر أن هذه العادة لابد أن تكون قد وجدت قبل هذا الزمان!! وقد امتدت فيما بعد ذلك الى انحاء عديدة فى العالم!!

* * *

الفصل الثالث

الأعياد المريمية وسيلة مساواة مريم بالمسيح

"تبين من الأعياد التي خصصت لمريم العـــذراء
كيف أنها وسيلة تقررت لمساواة مريم بالمسيح"

* الأعياد المريمية :

نتقدم الآن إلى ذكر الأعياد المحفوظة إكراما لمريم، وبـــالنظر إلـــى زمان دخول هذه الأعياد نقول بالأجمال أنها ابتدأت في القـــرن الخـــامس نحو عام ٤٢١ وبقيت آخذة في الزيادة إلى القرن الرابع عشر، وما بعـــده (الآباء الأوائل لكمبيفي مجلد ١ وجه ٣٠١ وسيجل تاريخ كنائس قديمـــة مجلد ٣ وجه ٣٢١)

١- عيد بشارة مريم العذراء

اختلف العلماء في زمان وضع هذا العيد فذهب قوم إلى أنه وضع في القرن الرابع وذهب أناس قلائل إلى أنه كان أوله في القـــرن الثـــالث... **ولكن كثيرين من علماء الكاثوليك يذهبون إلى أنه ابتدأ في القرن السابع ويستدل على ذلك من أعمال مجمعين انعقدا في هذا العصر وهما مجمـــع توليدو سنة ٦٥٩ ومجمع القسطنطينية ســنة ٦٩٢** (رأس ١ ورأس٥٢) أي نفس القرن المشار إليه حيث يذكر هذا العيد على طريق بيان أنه كـــان عموماً في تلك الأيام **ويبدو أن حفظه ابتدأ في القرن السادس...**

واختلاف الآراء في هذا الأمر **ربما يكون ناتجاً من كونه قد حفظ في البداية لأجل إكرام المسيح** ولم يتخصص بمريم إلا في القرن الخـــلمس أو السادس وما يليها. ومعلوم أنه قد ترتب لأجل تذكار **بشارة الملاك لمريـــم بتجسد المسيح!!**

٢- عيد الحبل بمريم بلا دنس

أن التعليم الذي كان سبباً لرسم هذا العيد هو أن مريم قد حبـــل بـــها بنوع عجيب وولدت على خلاف مجرى الطبيعة حتى لا تكون مشـــتركة

في الخطية الأصلية (وهذه محاولة في تشبيه الحبل بها بما حدث مع ابنها يسوع) والذي اشهر هذا التعليم أولاً هو بكاسيوس **في كتابه عن: "ولادة مريم العذراء"** في القرن التاسع لكن قاومه في ذلك على الخصوص واترمندس وانسلموس المعاصران له وآخرون ممن ظهروا بعدهما... ومع أن هذا الرأي قد اشهره شخص واحد في القرن التاسع، لكنه لم يمتد إلا بعد ثلاثة قرون أو أكثر....

ثم في القرن الثاني عشر حامى عنه بطرس لمبردوس، **إلا أنه قد حصل له مقاومة عظيمة من الأكثرين** مثل برنردوس وتوما الاكويني **وجميع علماء القرن الثالث عشر المشهورين** (برناردوس رسالة ١٧٤ رأس ٥٩ وما يليه).

غير أن جماعة من القسوس في مدينة ليون بفرنسا يقال لهم قانونيون ورد عنهم في رسالة ١٧٤ في قانونية ليون، أنهم تبعوا هذا الرأي نحو سنة ١١٤٠ **وأنشأوا "عيد الحبل بلا دنس" وهذا أول ذكر لهذا العيد...**

ثم أنه وقع جدال عنيف في هذا الموضوع واستمر مئتين أو ثلثمائه سنة أو أكثر **حتى أن المدرسة العمومية في باريس اشتركت في هذا الجدال، ومجمع اكسفورد المنعقد سنة ١٢٢٢** حسب هذا العيد غير ضروري وكذلك الرهبان الفرنسسكان والدومانيكان اشتهروا بالجدال في هذا البحث فحامي الأولون عن هذه العقيدة وقاومها الآخرون **ولم تتقرر تعليماً عاماً حتى ثبته مجمع باسل في جلسته السادسة والثلاثين سنة ١٤٣٩** والبابا الأول الذي حكم بحفظ هذا العيد هو سكتوس الرابع في سنة ١٤٧٦ – **وهذا البابا وعد بالغفران لكل من يحفظه بورع** (موسيهم مجلد٢ وجه ٥٣٧).

ثم أن المقاومة التي وقعت عليه كانت سبباً لعدم امتداده بسرعة، فأنه مع كونه قد تثبت من المجمع المذكور وبحكم البابا وحفظ في بعض الأماكن في القرن الثاني عشر لم يصر عموميا في الكنائس إلا في القرون الخامس عشر (سيجل مجلد ٣ وجه٣٤٦).

ومع أننا قمنا بشرح هذا الموضوع شرحاً وافياً في كتابنا: "المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد الصادر عام ١٩٧٩ في الفصل السادس منه، وعنوانه: "مزاعم شفاعة العذراء والقديسين" مما لا يتسع له المقام هنا، إلا أنه لا يجب أن يفوتنا كيف كانت مريم العذراء تحتاج إلى الخلاص ضمن جميع الناس ولذلك هتفت بالقول: "تبتهج روحي بالله مخلصي" (لو ١:٤٦) ولذلك فأنه بالرغم من أمومة مريم الإلهية لولادة ابن الله الأقنوم الثاني منها، **فأنها ليست شريكة في عملية الفداء والخلاص بأية حال من الأحوال لأن ذلك يستلزم قطعاً طبيعة إلهية، أما طبيعة مريم فبشرية ظلت تنتظر الفداء والخلاص وحلول الروح القدس عليها مرة أخري "يوم الخمسين" كمريم أم يسوع (أع١:١٤) لاتحادها بجسد المسيح السري "أي الكنيسة" وذلك لأنها مفدية ومخلصة كسائر المفديين!!**

يؤيد ذلك ما كتبه الآب متى المسكين في كتابه عنها في ص٨٤ نقلاً عن أقوال للقديس أغسطينوس: "**فأن العذراء لم تضف شيئاً من العلاقة الطبيعية التي كانت قائمة بينها وبين ابنها الإله المتجسد حتى أنها بالرغم من حلول الروح القدس أولاً عند الحبل به، لم يهبها ذلك امتياز الشركة في الجسد السري إلى أن نالتها مع المجتمعين بمعمودية الروح القدس في يوم الخمسين!؟**

فشتان إذاً بين ميلاد مريم بالتناسل الطبيعي – كسائر البشر – وميلاد ذاك الذي ولد منها – ولا يقال أنها ولدته – بحلول روح الله عليها عوضاً عن الزرع البشري... **لذلك قيل عن المسيح أنه "تسل المرأة" لأنه ولد منها بدون رجل لكي يكون منزها عن الخطية وخاليا من فساد الطبيعة البشرية، فلو ولد ممن ليست عذراء لوقعت عليه الشبهة أنه من نسل آدم المتناسل منه طبيعياً وأن فساد الطبيعة قد ساد عليه.. أما كيف لم**

يستطع الفساد أن ينتقل إليه من مريم أمـــه – وهـــي خاطئـــة بحســب الطبيعة– فذلك يرجع إلى وجود عامل إلهي في الحبل به وهـــو الـــروح القدس الذي أتم معجزة خالصة في إيجاد ذلك الناسوت القدوس بكيفية لا يمكن للعقل البشري أن يدرك كنهها... وقد كـــان ذلـــك لازمـــاً لكـــي لا يشاركنا في الخطية بانفراده عنا بهذه الولادة المعجزية إذ كان الحبل بـــه في بطن العذراء بالعمل المباشر الذي بدأ بتطهير العذراء تماما حتـــى لا يأخذ المسيح منها جسداً تسري فيه الخطية كأجسادنا.

* *

على أن هذا الميلاد العذراوى الفريد لا يستلزم البتـــة ولادة مريـــم نفسها بحبل بلا دنس لأنه لا وجه للمقارنة بين الولادتين فقد ولدت مريم بطريق التناسل الطبيعي، ولا سند إطلاقاً للادعاء بشأنها بغير ذلك كـــهذا الادعاء الذي نتج عن سوء فهم ومبالغة قد أديا إلى "العبادة المريميـــة" الخطيرة التي لا يقرها الكتاب المقدس... ويبدو من الجهة الأخـــرى أن توقف البعض عن إعطائها مكانتها الشرعية التي تستحقها دون رفـــع أو خفض إنما كان كرد فعل لتلك العبادة...

فمع أن في اختيار الله لها لتكون والدة ابنه "الكلمة الأزلـــي" شـــرفاً يرفعها إلى مكانة لا يمكن لكـــائن بشـــري أن يحتلـــها، كمـــا أن ولادة المسيح "الكلمة" منها ترجح بتوليتها كما سبق الإثبات إلا أن ذلك لا يعنى قط أن مريم زادت عن كونها بشرا، فأنها مثلهم بعيـــدة عـــن الإلوهيـــة بنفس الهوة الساحقة التي تفصل بين الله وسائر الكائنات بما فيهم البشر جميعهم!!

ومع أنها قد حصلت بولادة المسيح منها على مكانة ســـامية بيـــن القديسين بأجمعهم، لكنها تباعدت عن أي مركز رسمي في الكنيسة ولـــم تدعٍ لنفسها "إلوهية" بسبب طبيعة ابنها الإلهية، ولم يطلب لها ابنها ذلك بتاتاً...

ومن ثم فإن التجاوز هنا في الحبل بها بلا دنس – لكي تشابه المسيح في ذلك – أمر غير جائز كتابياً وهو بالتالي غير مقبول!!

ومع ذلك فإن هذه هي العقيدة التي تعلم بها كنيسة روما فتساوي بها بين العذراء والمسيح وأصبحت من قواعد الإيمان الكاثوليكي بعد أن أيدها البابا بيوس التاسع في ٨ ديسمبر ١٨٥٤ بمنشور استند فيه إلى عصمته البابوية...

ورغم ذلك فأن المسيح وحده هو الذي ولد منذ البداية قدوساً، وبرهن ميلاده العذراوى على الوهيته – له المجد– وإلا لكان ذلك الميلاد الفريد شذوذاً في الطبيعة لا تفسير له، ومن ثم فأننا لا نجد معني لموقف من يقبلون التسليم بولادته من عذراء لم يمسها بشر، وهم مع ذلك ينكرون لاهوته!! ولا لمن يمنحون مريم الحبل بلا دنس مثله كأساس لعبادتها.

ومن ثم فقد اتخذت المسيحية منذ البداءة من ميلاده العجيب هذا برهانا على لاهوته، وهي في ذلك لم تنحرف عن جادة الصواب دون أن تقر ذلك للعذراء... **فإن الذي يولد على غير الطبيعة والمألوف لا يمكن إلا أن يكون شخصاً خارجاً عن دائرة البشر وهذا ما تحقق في شخص المسيح وحده لا سواه!!**

٣- عيد ميلاد مريم

لا نعلم وقت ابتداء هذا العيد عن يقين وقد نسبه جماعة إلى القرن الخامس وآخرون إلى السابع وآخرون إلى التاسع وغيرهم إلى القرن الحادي عشر...

والأقرب إلى الصواب أن ابتداءه كان في الشرق وأنه صار معروفاً ومقبولاً عند الأكثرين هناك في آخر القرن السابع وفي الغرب في القرن

إلحادي عشر، **ولكن كان ذلك بالتدريج وبقوة العادة أكثر مما كان بوصية الكنيسة** (سيجل تاريخ كنائس قديمة مجلد ٣ وجه ٣٣٩ و٣٤٠ وبنترين وجه ٤٥٠،٤٥٥).

ويبدو أن ترتيب هذا العيد إنما كان ليكون مماثلاً للعيد الذي تعين لميلاد المسيح لرفع مكانتها ومساواتها بالمسيح!!

٤- عيد تطهير مريم العذراء

هذا العيد رسم في القرن السادس (تاريخ ينيفارس ١٧ رأس٢٨) ودليل ذلك قد ذكره بنكهام (مجلد٩ وجه ١٧٢،١٧٣)

ويري البعض أنه ابتدأ في أيام الملك يوستين الذي تولي من سنة ٥١٨إلى ٥٢٧ – وذهب آخرون إلى أنه ابتدأ في أيام يوستيانوس الذي تولي من سنة ٥٢٧ إلى سنة ٥٦٥ والأرجح أنه ابتدأ في المدة الثانية...

وأما نظراً إلى سبب رسمه فيوجد أساس متين للظن بأن اصله من عوائد وثنية. فأن كثيرين من المؤرخين هم على هذا الرأي مثل هسبنيان وبرمجرين وشميد (تاريخ عن الأعياد وجه ٩٠) وكان ذلك في عصر البابا هلدبراندا (وجه ٤٣). وأوغسطس (جزء٣ وجه٧٩)- **وكان شهر شباط الذي يحفظ فيه هذا العيد محسوباً من اعظم الأعياد الاحتفالية في رومية الوثنية** واسم هذا الشهر باللاتينية نبرواری (المترجم فبراير) ومعناه التطهير كما ذهب جمهور القدماء. **وفي آخر هذا الشهر كان يحفظ كل سنة عيد تطهير عظيم إكراماً لفبروا أم الإله مريخ، وكان يجتمع في هذا الشهر أعياد كثيرة للرومانيين الوثنيين** مثل عيد الالاهه يونو فبرواتا وعيد بروسبينا واحتفالات الإله بلوتو وعبادة أرواح الموتى وعبادة الإلهة الجهنمية وغير ذلك.

والتطهيرات المستعملة في هذا الشهر يمكن نقلها بسهولة من الديانة الوثنية إلى عيد تطهير مريم العذراء كما لا يخفي والبعض من

علماء الكاثوليك كيعقوب الفاراجينى وبارونيوس وددرند ولا سيما العالم الشهير بيدا يسلمدن أن أصل هذا العيد ناتج من المبدأ المقبول في الكنيسة الذي سبقت الإشارة إليه **وهو أنه يجب نقل بعض أعياد وثنية إلى أعياد مسيحية أولاً لكي يزيد بذلك رونق الديانة المسيحية وثانياً لأجل إزالة بعض عوائد نفاقية** (التاريخ المسيحي لسيجل مجلد٣ وجه ٣٢٦و٣٢٧).

٥- عيد زيارة مريم لاليصابات

هذا العيد رتبة أوربانوس السادس سنة ١٣٨٩ وسببه القريب **هو الطلب إلى مريم أن ترفع الانشقاقات المزمنة من الكنيسة لأنه كان هناك باباوان معاً مدة خمسين سنة أحدهما في رومية والآخر في افنيون.** على أنه لم يكن محفوظاً عند الجميع حتى **ولا في الكنيسة اللاتينية إلى مجمع باسل** الملتئم سنة ٤٤١ الذي حكم به حكما خصوصياً (مجمع باسل جلسة ٤٢).

٦- عيد انتقال مريم إلى السماء

أن العهد الجديد لم يذكر موت مريم البتة وفي الأربعة القرون الأولي لم يدع أحد من آباء الكنيسة الأولي بمعرفة شئ من ذلك. فلو كان صعودها صحيحاً فكيف لا يذكره الكتاب المقدس كما ذكر نقل أخنوخ وايليا حيين إلى السماء وعن صعود السيد المسيح إليها!؟ وكيف يستند فيه الآب متى المسكين إلى التقليد فيقول أننا قد وجدنا العلة الحتمية لصعود جسد العذراء إلى السماء بعد نياحتها؟ **فهذه الطهارة الكاملة لا يمكن أن يفسدها تراب الأرض!!**

في حين أن ابيفانوس في القرن الرابع يقول أن انتقالها من العالم هو مشكل لا يمكن حله (ابيفانوس هرطقة٨٩ فصل١١).

ولكن في القرن الخامس أخذ كثيرون من علماء الكنيسة المشهورين يفتكرون **أن قوة الله ربما ظهرت عند موتها، إلا أنهم لم يعترفوا بذلك**

البتة بل إنما ذكروا أن ذلك أمر ممكن. **ولكن الجميع كانوا يجهلون هـذا الأمر بالكلية حتى تعددت فيه الآراء واختلفت وظهر ذلك علـى الوجـه الآتي:-**

أولاً: ذهب توم إلى أنها ماتت موتاً طبيعياً غير أن روحها أخذت حالاً إلى السماء. على أنهم لم يقدروا أن يتفقوا على تعيين وفاتها في أي يـوم أو سنة (أوسابيوس في تفسير الأيام).

ثانياً: ذهب آخرون إلى أنها ماتت موت الشهداء مستشهدين في ذلك بما جاء في إنجيل لوقا٢:٣٥ (تفسير امبروسيوس للوقا وحياة القديسـين لايسمندوس).

ثالثاً: ذهبت جماعة إلى أنها لم تمت مذكرين أن يكون لها طبيعـة بشرية، ولهذا لم يكن للموت سلطان عليها (انيفانوس في الهرطقات ٧٩)

رابعاً: تردد كثيرون بين أن جسدها ترك على الأرض أو رجع إلـى السماء (ارسو اردوس في الاستشهادات).

خامساً: ذهب الأكثرون في هذا القرن – أي الخامس – إلى أن مريم نقلت بجسدها وروحها إلى السماء وقد ساعد هذا الرأي على الخصـوص تقليد عن ديوفيسيدس الأريوباغي وخلاصته ما قاله في ذلك: **"أنـه عنـد وفاة مريم اجتمع جميع الرسل بسرعة من جميع أقطار العالم حيث كانوا يبشرون إلى أورشليم إلى بيت هذه المباركة، وحينئذ أتي يسـوع مـع ملائكته وأخذ روحها وأحضرها إلى ميخائيل رئيس الملائكة وفي اليـوم الثاني وضع الرسل الجسد في القبر وحرسوه منتظرين ظهور الرب، ثـم ظهر المسيح ثانية ونقل جثتها المقدسة إلى السماء في سحابة. وهنـاك أتحد أيضاً الجسد بالروح وفـاز بالسـعادة الأبديـة** (تـاريخ كنـائس ليسيفوروس كتاب٢ رأس ٢١ وكتاب١٥ رأس١٤) وفي ذلك نقول:-

أولاً: أنه لا يوجد ذكر لشيء من ذلك في العهد الجديد ولا في تصانيف أحد المؤرخين الصادقين في القرون الأولي (سيجل تاريخ كنائس قديم مجلد٣ وجه٣٣٦).

ثانياً: أن الكتب المنقولة عنها هذه القصة هي الآن محسوبة عند الجميع أنها مزورة (تاريخ كنائس لمسهيم مجلد١ وجه٢١٥).

ثالثاً: أنه لم يذكر ذلك أحد من المؤرخين قبل القرن السادس (نياندر٣ فصل٢ وجه٥٤) **مع أن الشخص الذي ينسب إليه هذا التقليد (ديونيسيوس مذكور في سفر الأعمال وكان ذلك في عصر الرسل وليس في القرن الخامس كما يشير ذلك التقليد سالف الذكر).**

ولا يخفي أنه لو كتب بالحقيقة شئ من هذا القبيل لا يصدق أن الآباء والمؤلفين الكثيرين الذين كانوا في الخمسة القرون الأولي يسكتون عن ذلك و يذكرونه في تصانعهم **ومن ثم لا يمكن أن يوثق بقصة غير صحيحة بالكلية نظير هذه.**

ولكن إذاعة هذا التقليد زادت هذا العيد اعتباراً. **فحفظه أولاً اليونانيون نظير عيد لوفاتها** ومن المحتمل أنهم ابتدأوا في أول الأمر يحفظونه **في بعض أماكن في القرن الخامس، غير أنه لم يصر عمومياً إلا في القرون التالية.** وحسب ما ذهب إليه نيسيفدروس في (كتابه ١٧ رأس ٢٥) كان الملك موريثيوس الذي ابتدأ ملكة سنة ٥٨٢ هو الذي جعله عموميا. **غير أنه لم يصر محفوظاً عند الجميع حتى ولا في القرن التاسع نظير عيد لانتقالها روحاً وجسداً إلى السماء لأنه في ذلك العصر أيضاً كان مشكوكاً في ذلك** (قوانين مكارولى كتاب١ رأس ١٤).

ثم أن لاون الرابع بواسطة إضافته إلى هذا العيد شهرا وصياما جعله بين الأعياد المعتبرة. أخيراً في القرن الثالث عشر صار عاماً عند الجميع نظير عيد ولم يكن هكذا قبل القرن المذكور، **لأنه قبل ذلك الوقت كان كثيرون يعتبرون حالة روحها وجسدها في الموت نظير حالة تعبير بقية**

المؤمنين (بماغرتين كتاب١ وجه٣٠٨ وسيجل تاريخ كتاب مجلد٣ وجه ٣٣٧) ولقد أصدر البابا بعد أن عقد مجمعاً قرارا بأن العذراء صعدت بروحها و جسدها إلى السماء بمجرد وفاتها وكان ذلك في نوفمبر عام ١٩٥٠ وأن من لا يعتنق هذه العقيدة يعتبر خارجاً عن الديانة المسيحية بينما استندت الأرثوذكسية في تدعيم هذا الاعتقاد إلى روايات من التقليد مما سبق الإشارة إليها ولذلك فأنهما تشتركان في قبول ذلك!!

والفرق بينهما من جهة تعلية شأن العذراء ضئيل للغاية فالأرثوذكس أيضاً قد جعلوا لصعودها عيداً كما فعل الكاثوليك ويطلقون عليه تذكار صعود جسد السيدة العذراء مريم!!

ولكن ما هو القصد النبيل السامي الذي يرمون إليه بإذاعة هذه العقيدة وتحديد عيد صعودها!! أهو زيادة مجد الله أم تكون باعثا أقوي على خلاص النفوس!؟ أننا لا نستطيع أن نؤمن بصعودها مثلما صعد المسيح لتتساوي معه وتستحق مثله السجود والعبادة!!

* * *

الفصل الرابع

ظاهرة ظهور العذراء مريم
وفتح الباب لتمجيدها لتتساوي بالمسيح

"لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان" (مت٢٤:٢٧).

*** حول حقيقة ظهورات العذراء وما يقال بشأنها :**

الواقع أن أسلوب الاعتماد على ظهورات العذراء لا يمكن أن يتفق مع أي منهج علمي في البحث، ومن ثم فليست هناك فائدة تعود على الناس بالنسبة لأمور مجهولة الكنه ويصعب القطع بصحتها.

مع ذلك فقد جعلها الأرثوذكس والكاثوليك من أقوي الأدلة على عظمة العذراء ومساواتها بالمسيح.

لقد بدأت عملية المساواة بين العذراء والمسيح عند الكاثوليك ببدعة نسبة "الحبل بلا دنس" للعذراء أي أنها قد ولدت مثله بدون خطية الأمر الذي جعلهم يصفونها ب "كلية القداسة" مع أن الصفات الكلية هي جوهر إلهي لأنها لا نهائية وغير محدودة ولا تطلق إلا على الثالوث الأقدس، فهي لذلك لا يمكن أن تنطبق على القديسة مريم التي تطهرت بالتظليل الإلهي لأجل ولادة القدوس منها ولكنها احتاجت إلى خلاصه كسائر البشر!!

فلو أن مريم ولدت مثل المسيح بدون الخطية الأصلية فهذا يعني حتماً أن والديها كانا خاليين هما أيضاً من الخطية الأصلية بل وجدودها وجدود جدوها – وهذا أمر مستحيل غير معقول ويناقض كلمة الله **ويتنافي مع قولها: "تبتهج روحي بالله مخلصي" معلنة بذلك احتياجها إلى مخلص كسائر البشر وهو الذي ولد منها يسوع المسيح بحسب نص الإنجيل!!**

وأما من جهة الظهورات نفسها وملابساتها **فأننا كما كتبنا في مؤلفنا "المسيحية بين الكتاب والتقليد" ص١٦١ لا نقرها لأننا لا ننتظر المعجزات من راحلين إلى العالم الآخر لأنهم ليسوا معنا وقد انتهت مهمتهم وعملهم بالنسبة لنا بانتقالهم من هذا العالم وهذا تؤيده نصوص صريحة في الكتاب المقدس وقد وردت في** (تث١٣، أيوب٥:١، لوقا١٦:٣٠،٣١).

ويؤيد هذا الرأي د. القس اكرام لمعى بقوله: "نحن لا نؤمن بموضوع الظهورات للمؤمنين الذين انتقلوا إلى العالم الآخر – كيف يعودون ثانية ويظهرون في الأماكن المادية مرة أخرى وفي مجسمات مادية وهم الآن أرواح في السماء بدون أجساد" ثم استطرد إلى القول: "**أن هذه عقيدة فرعونية قديمة** تقول أن الروح تعود للجسد الميت فيحنطونه ويضعون الطعام مع المتوفى حتى يأكل عندما تعود إليه الروح.

وهذه العقيدة توارثتها مصر ومنها انتشرت إلى بقاع أخرى من العالم وليس هناك سند أو دليل عليها في الكتاب المقدس...وهو بذلك يخالف رأي للقس ابراهيم سعيد أثناء رئاسته للطوائف الإنجيلية في تعقيبه على ظهور العذراء بالزيتون يوم الأحد ١٩٦٨/٥/٥ بأنه يؤمن بذلك شخصياً وكذلك الإنجيليون معه!!

أما الأنبا يوحنا قلته المعاون البطريركى للأقباط الكاثوليك فيقول: "**لسنا في حاجة إلى أي معجزات خارقة**، لأن المعجزة الحقيقية هي وجود الإيمان على الأرض.. والكنيسة الكاثوليكية لا تقر بحدوث أشياء غير عادية إلا بعد مضي خمسين سنة عليها حتى يتم دراستها للتحقق من أنها سماوية أم لا – فلا يتم ذلك بسهولة!

وأضاف: "أن مبدأ ظهور العذراء ليس عقيدة، إذ لا دخل للعقيدة في الظهورات– كما أن هذه لا يتم التأكد منها إلا لأشخاص بلغوا من الشفافية والقداسة مبلغ القديسين والأنبياء وأين هؤلاء الآن!؟"

وهذه الظهورات عينها لم تتفق فيها كلمة الواضعين لها فهناك لجنة شكلها البابا كيرلس أقرت الظهور الذي حدث في كنيسة الزيتون عام ١٩٦٨ ومع ذلك فهناك اختلاف في وصف الحمام الأبيض بحسبانه ملائكة وهم يطيرون حول الصليب ويقفون على قبة الكنيسة وهناك من يقول أنهم رأوا العذراء في شكلها النوراني تحلق أعلى قبة الكنيسة وحدث تدوين لهذه كلها في كتاب... ولكن بالنسبة لظهور تال في كنيسة القديسة دميانة ببادبلو بالترعة البولاقية، وأيضاً بكنيسة عياد بك بروض الفرج، ثم بكنيسة بسوهاج وأخرى في قرية شنتنا بالمنوفية فقد قامت مجلة "روز اليوسف" في ٩٧/٩/١ و"الميدان" في ٩٧/٩/١٦ **بإنكار هذه الظواهر واعتبارها خدعة وأقر في جريدة الميدان البابا شنودة نفسه بأنه لم يثبت ظهور العذراء في المنوفية – وما حدث مجرد ظاهرة روحية، وذلك رغم كثرة ما قيل حول هذه الظهورات** مما لا يتسع له المقام هنا مع أنه قد امتلأت به صفحات الجرائد تأييداً أو نفياً..!!

ومن ثم فأن البعض رغم إيمانهم الديني ينكر هذه الظهورات ورغم صراخ البعض بظهورها فهناك من يؤكد أن ذلك خيالات والأكثر تصديقاً لها هم العمال والفلاحين البسطاء **والبعض ينسب لهذه الظهورات أنها تحمل رسالة للشعب المصري تدعوه للتوبة عن المعاصي وعمل الخير وترفع روحه المعنوية من بعد نكسة ٦٧ كما يقولون!!**

أما الراحل القس ابراهيم عبد السيد فأجاب عند سؤاله بالآتي: "إن أمر الظهور لم يرد في الكتاب المقدس ولكنه أمر وارد في أي مكان وزمان. **ولكن أيضاً يجب التعامل مع مثل هذه الأمور بمنتهى الحذر والحسم** وقال أنني لا أصدق هذا الظهور المزعوم في قرية شنتنا، وهي مثل الظهور المزعوم بمنزل سمير بجزيرة بدران وغيره – **ونتبين عدم صدق هذه الشائعات التي يغذيها استعداد الناس للتصديق والتهويل لأي خرافة،**

فالشعب المصري – مسلمين وأقباطاً – **عاطفيون ولديهم قـــدرات علـــى الخيال وتصور للأشياء الخارقة!! وعلى المسئولين في الكنيسة التصدي لهذه المزاعم!!**

ويؤكد المؤرخ د. يونان لبيب رزق: "أن شائعات ظهور العذراء دائماً ما ترتبط بظروف صعبة يعيشها المجتمع أو أحداث خطيرة فهو لشـد أزر المصريين عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ والأخيرة منها في المنوفية ترتبـــط بالظروف الاقتصادية الصعبة أو قرب تطبيق قانون المـــالك والمســـتأجر عام ١٩٩٧.

والقصد من الظهورات إذاً **معالجة النكسة** التي نسبها البعض للابتعاد عن الله **والتي أنتجت التطرف والأصولية في الإسلام والدين الغيبي فـــي المسيحية حتى ينسى الشعب الواقع المرير**– وهذا نوع من الهروب مـــن الواقع – **وهو يحدث في الأماكن التي يكون مستوي التفكير العلمي بـــها ضعيفاً والأزمات متشددة.**

وإما أكثر الظهورات فهي للسيدة العذراء بالطبع وهنـــــاك مناشـــدة ختمت بها جريدة الأخبار مقالاً لها بتاريخ ٩/٧/ ٩٧ فـــي هـــذا الصـــدد بالقول:"فيا أقباط مصر البسطاء: **لا تصدقـــوا هـــؤلاء وكفـــاكم ترديـــداً للأكاذيب فكتابكم المقدس لم يرد فيه ما يؤيـــد هـــذا الخيـــال المريـــض ويطالبكم بأن تكونوا حكماء "وتعرفون الحق والحق يحرركم"!!**

* *

أما الزعم الذي أورده مجدى صادق في كتابه: "المسيح الدجال" وهو يقوم على أن ظهور العذراء في الزيتون في عام ١٩٦٨ **هو رسالة نبوية عن بداية إتمام وتحقيق النبوات الخاصة بظهور المسيح– فقد تســـاءلنا بشأنه من قال هذا معه أو سواه!؟** لا أحد فأن ذلك الظهور الذي يشـــير إليه لم يكن الأول من نوعه ولن يكون الأخير إذ سبقه ظهورات أهمـــها

ظهورها في القدس في الفترة ما بين ٩ يونيو حتى ١٢ يوليو من عام ١٩٥٤ وشهدت إذاعات العالم ووكالات الأنباء مع الصحافة العالمية عن هذا الظهور **الذي وصفته جريدة "الجهاد" الأردنية في عددها الصادر يوم الأحد ٢٧ يونيو من تلك السنة بعنوان: "أعجوبة الدهر ظهور العذراء بدير للأقباط ساعة كاملة.**

ونشرت جريدة الأخبار في يوم الأثنين ٢٨ يونيو ١٩٥٤ مقالاً بعنوان: "**العذراء تظهر في دير بالقدس تركب سحابة بيضاء**" وهم يعتبرونها السحابة التي ركبها الرب في قدومه إلى مصر ولذلك يسمون العذراء **السماء الجديدة** والسحابة لأنها في بياض السحابة وطهارتها ونقاوتها وخفتها ورقتها وسموها ورفعتها كما جاء ذلك في كتاب رحلة العائلة المقدسة في أرض مصر ص٢٩.

* *

وقد سبق ظهورها في القدس ظهورات أخرى لها في البرتغال في بقعة تسمت باسم "سانت فاتيما" في ١٣ مايو ١٩٣٧ وفي منطقة لورد بفرنسا في ١١ فبراير ١٨٥٨ وفي أماكن وعصور أخرى سابقة لا تقع تحت حصر حتى يقال أنها بلغت في القرن العشرين وحده ٤٠٠ ظهور..

ومؤلف الكتاب سالف الذكر والذي يحوى هذا الاختلاق الوارد به اعجز عن مساندة حوادث ظهور العذراء والقديسين ومع ذلك فهو يتشدق بهم ويرى ظهورهم سنداً لنظام الخلافة الرسولية الذي تستند عليه الكنائس التقليدية به وهو منسوبه إلى (مرقس وبطرس) والتي يعتبرها أصحابها أنها وحدة "الكنيسة الحقيقية" **مع أنها تختلف عن "الكنيسة الحقيقية" التي يبنيها المسيح بنفسه من المؤمنين بالحق وهم الذين يصفهم الكتاب المقدس "كنيسة الله" وهي القائمة على الحق الكتابي وحده دون سواه!!**

نقول هذا في مواجهة زعم المؤلف سالف الذكر بأن **ظهور السيدة العذراء إنما هو أعظم تدعيم لكنيسته التقليدية** – وأنها أعظم شهادة لصحة أسرارها وطقوسها ولزومية ذلك للخلاص **وهذا من قبيل الوهم الذي يتصورونه لأنفسهم** – وهم يظنون أن هذا الأمر يزعجنا، **يتجاهلون كيف أن الخلاص هو بالمسيح وحده بما عمله لأجلنا ويعمله فينا مما يعطينا اليقينية بذلك، الأمر الذي يفتقرون إليه رغم افتخارهم الباطل بهذه الظهورات.**

وعليه إذاً أن يثبت ما يدعيه بالبراهين الكتابية – لا الفلسفية والتقليدية – **بأن ظاهرة ظهور العذراء هي من الله يقيناً حتى يبنى ثقته في ذلك على أساس وإلا فأن هذه الظاهرة لا تعنينا بحد ذاتها ولا ما يصاحبها من نتائج** بما في ذلك الزعم بأنها مصدر خير وبركة للمسيحيين ولمصر جميعها – **فهذه كلها لا جواب عليها إذ هي ضرب من الأوهام وإنما يعنينا بالأكثر بأنه لا يستطيع أن يقدم سنداً واحداً من الكتاب المقدس سيثبت به صحة هذه الظاهرة التي تأخر بها الزمن ولم يكن لها مثيل في التاريخ... وليس هناك جواب قاطع ومقنع لماذا اختصت العذراء بهذه الظهورات دون المسيح الذي أعلن عن مجيئه أنه سيكون كالبرق وستراه كل عين. وليس في قولهم أن هذه الظهورات إنما تمهد لمجيئه الثاني إنما هو من قبيل الدجل والهراء!!**

ومن ثم فأن القطع بحضور العذراء شخصياً وعلى مركبة فضائية (طبق طائر) حيث حلت الرحال بكنيسة الزيتون، **وكأن ذلك حجة علينا وعلى العالمين لا تقبل المناقشة مع أنها دعوى بلا برهان، وفرض تصديقها على الكافة فرضاً جبرياً مطلقاً أمر في حكم المستحيل، إذ لا يسعفه دليل يركن إليه أو سند يقوم عليه...** إذ أن هذه الظاهرة وغيرها **يجب أن تخضع للبحث العلمي الشامل، كما ومن المحتم أن تستند إلى**

نصوص الإنجيل الصريحة، وإلا كنا في حل أن نتركها وشأنها لذويـــها لمجرد كونها ظاهرة عامة لكل رأيه فيها وموقفه من قبولـــها أو عـدمٍ قبولها متروك لضميره ونسبة نور استنارته..!! وقد انتشر عنها مؤخـراً ظهوره في مدينة أسيوط وتزاحم الألوف والربوات لرؤيتـــها. ويتصـــور مجدى صادق أن هذه الظهورات إنما جاءت في عصرنا **لمواجهة الارتداد والانحرافات الإيمانية مع أنها لم تغير من الموقف شيئا والارتـــداد فـــي ازدياد،** فالقول بأن المقصود بها توبيخ الخطاة **والاستنارة فـــي التســليم الرسولي والإرجاع إلى الإيمان القويم إنما هو كلام فارغ مـــن المعنـــي وبعيد عن الواقع!!**

ومع ذلك فأن مجدى صادق يفترض بأن هذا الظهور معجزة كـبري تحمل تحذير سماوي على مستوي العالم تدعو للعودة للإيمان- وأنـــها ستظهر على جبل نبو – الجبل الذي صعد إليه موسى وأراه أرض كنعان منها دون أن يدخلها – وستبقي على منحدرات هذا الجبل حتـــى نهايـــة العالم كعلامة مستديمة يشاهدها الجميع وأنها حينئذ ستنبئ عـــن عقـــاب للعالم لعدم رجوعه لله وعدم استجابته لنداءاتها وتحذيراتها!! يؤيده في ذلك ق. عبد المسيح بسيط في كتاب له عن "الظهورات" **وكأن ما جـــاء فـــي الكتاب المقدس عن تحذيراته للجميع من الدينونة القادمة – غير كـــافٍ للتنبيه والإنذار، فيضيفون إليها ما ذهبوا إليه وهماً مـــن هـــذا القبيـــل لتبرير هذه الظهورات وأحاطتها بالجلال!!**

ولسنا ندري ما الحكمة التي تدعو لظهور العـــذراء فـــي المرحلـــة الأخيرة على هذا الجبل بالذات **ويسمونه جبل الرؤيا** وبحسب ما اقتبســـوه من سفر المكابيين الثاني يقولون أن ارميا وجد كهفاً في هذا الجبل فـــادخل فيه تابوت العهد... **وهكذا تتجمع هذه الأمور التي لا رابط بينـها ولا يقبل تصديقها سوى المتعصبون للتقليد!!**

إذ أنهم ينتبهون إلى القول بأن ظهور العذراء هنا إنما هو للكشف عن هذا الكهف وإخراج التابوت منه.. دون أن يكون هناك تفسير واضح لكل هذه الأمور التي يذهبون إليها ويريدون فرضها تمجيداً للعذراء!! فى حين ان كلامهم هذا مجرد كلام لا وزن له ولا اعتبار في مجال البحث عن الحقيقة ذاتها لوجه الله سبحانه ولضمان قبول حقه الكتابي لسلامتنا الشخصية وخلاصنا الأبدي!!

ولذلك مهما كانت محاولات التقليديين في جمع الكرامات لها لتعظيمها وتمجيدها – لتتساوى مع ابنها يسوع المسيح، **إلى حد القول بأن العذراء بالذات تضمن قبول المتشفعين بها لدي أبنها وكتابة أسمائهم في سفر الحياة مما يجعلهم يذهبون بها إلى درجة فائقة من التكريم المتطرف، الأمر الذي لا يقوم عليه أي دليل من الكتاب المقدس!!**

ورغم ذلك يجاهر أئمة الكاثوليك وقادتهم بأنه كما أنه لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا بالابن **كذلك لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الابن إلا بأمه مريم**، وقد فتحوا الباب بذلك إلى عدد من الشفعاء والشفيعات لا حصر لهم مع إضافة البابوات والكرادلة والأساقفة والكهنة والصور والأيقونات **لكي يصلوا بها إلى الله في حين أن البروتستانت يرون بحسب نصوص الكتاب المقدس أن أياً من كان يستطيع الوصول مباشرة إلى الله** بدون هذه الوساطات!! لأن وسيطهم الوحيد هو يسوع المسيح!!

* * *

الفصل الخامس

عبارات التعظيم التي أتموا بها مساواة العذراء بالمسيح

"أرفعك يا إلهي الملك... عظيم هو الرب وحميد جداً، وليس لعظمته استقصاء" (مز١٤٥: ١، ٣).

* توسلات وطلب رسائل من العذراء مريم :

يلاحظ في السنوات الأخيرة – وخاصة الأقطار الأجنبية عدم الاكتفاء بالاحتفالات التي تقام لمريم بل ظهور إعلانات تحث الناس على رفع طلباتهم إليها وتلاوة: "السلام لك يا مريم" كل يوم!!

وبحسب بعض التقارير هناك خمسة مليون إنسان – العديد منهم غير مسيحيين – يقومون بزيارة مزاراتها بقطع مسافات طويلة للصلاة إليها على مدي السنين حتى الآن!؟ فلماذا أطلق اسمها على مئات من أماكن العبادة وتسمت به الآن من النساء أكثر من أي شخصية أخري في التاريخ!؟

ثم ماذا عن كل المعجزات المنسوبة إليها والرؤى والظهورات والرسائل والنبوات والتماثيل الباكية والأيقونات النازفة الدم التي يمسكونها عنها!؟ وذلك بالأكثر من أول ظهور لها في القرن العشرين في سانت فاتيما الأمر الذي قال عنه البابا بيدس الثاني عشر: "أن رسالة فاتيما هي إحدى تدخلات الله العظمي بواسطة مريم في تاريخ العالم منذ موت الرسل (The thunder of justice ص١٣٢) هذا وقد أفادت مجلة (Time) في عدد ديسمبر ١٩٩١ بأن القسم الأخير من القرن العشرين قد اصبح عصر الحجيج المريمي إلى العديد من المزارات التي تدشنت لذكري ظهورات العذراء مريم في السنوات الأخيرة"!!

ومما لاشك فيه أن الظهورات المريمية قد جذبت عدداً ضخماً من المريدين يعد بالملايين وقد قادهم ذلك إلى الإيمان بمريم الكاثوليكية!!

وورد بالمرجع السابق ص٧٣ اقتباس مما كتبه لويس دى مونتفورت في القرن السابع عشر عن دور مريم في الأيام الخيرة ورد به بالنص: "أن في مجيء الرب الثاني ستتكشف حقيقة مريم بطريقة خاصة بواسطة الروح القدس، فيعرف يسوع ويخدم عن طريقها بصورة افضل... وستبزغ مريم ببهاء أشد من كل ما مضي في هذه الأيام الأخيرة لترد الخطاة البائسين وبعد ذلك كتب البابا يوحنا بولس الثاني في منشورة البابوي سنة ١٩٨٧: "بأن الظهور المريمي يبين أن رحلة العذراء المطوبة عبر الزمن والفضاء أن ما هي إلا حجيج مقدس نحو المجيء الثاني ليسوع، وانتصارها النهائي على الشيطان" (نفس المرجع السابق ص١٩).

ولا شك أن التصريحات السابقة ليس فقط تؤدي إلى اعتبار مريم أكثر الكائنات أهمية، بل أعظم من يسوع نفسه، الأمر الذي لا يؤيده الكتاب المقدس بتاتاً **مما يجعل تلك الأقوال ليس فقط خاطئة ومضللة فقط بل أيضاً تَّدخل مريم في الأحداث المستقبلية مستحيل تماماً ومع ذلك فان جيمس نيقولاس يصرح بأنه حتى الله نفسه يطيع أمرها.**

ومع ذلك فأن عدد ديسمبر ١٩٩٦ من مجلة Life نشر عنها بأنها: "بعد ألفي عام من ميلاد المسيح لا تزال أم يسوع أحب وأقوي وأكثر عرضة للجدل من أي وقت مضي..." وفي خاتمة هذه المقالة نجد القول: "قد تقود مريم إلى اجتماع مسكوني للم شمل الكنائس المسيحية" ومفسرو هذا النوع من الاعتقادات يشيرون أيضاً إلى مريم بأنها "فادية ووسيطة وشفيعة شريكه" بل أنهم يقولون بأنها وسيطة كل "النعم" أي أنه ليست هناك أي نعمة يمكن أن تعطي لأي شخص ما لم تمر على يديها. بل أن الكاردينال سبلمان الموجود في نيويورك يخاطبها بالقول: "**يا قلب مريم الحلو كن خلاصي يا وسيطة البشر وملجأ الخطاة إلى من نذهب إن لم نذهب إليك**" **وكأن مريم أكثر رحمة من يسوع المسيح نفسه!!**

بل لقد وصل بهم الحال أن الذي تحت حماية مريم هو الذي سيخلص، وأما من لم يكن كذلك فهو هالك... وهم يتضرعون إليها مما لا يوجد لـــه أدني سند في الكتاب المقدس كلمة الله المعصومة!!

* **الكاثوليك يقرون عبادة مريم :**

بالرغم من هزيمة بدعة آريوس وما بعدها من هرطقات وانتصـــــار الإيمان الحق حول شخص المسيح، فقد ترك ذلك في حواشـــيه تخـــوف الناس من الاقتراب المباشر من مخلصنا حتى أضحت حياته السابقة علـــى الأرض غامضة ومحجوبة أمام مجده السماوي وحينئذ بدا يبدو بعيداً عـــن مهام الحياة وواجباتها وهذا ما حدث فيما بعد واكتمل في قرارات المجمـــع السابع – مجمع نيقية الثاني– (سنة٧٨٧م).

ومع أن رأي المجمع كان يدور حينئذ حول شرعية استخدام الايقونات كتجسيد للحقائق الدينية، إلا أن تصور المسيح لديهم كالبعيد جداً عن الناس دفعهم لأن يتحولوا عنه للعزاء إلى صوره ثم إلى العذراء والقديسين..

وكان جل اهتمامهم بالعذراء إذ وجدوا فيها شخصية وسطي تقربـــهم إليه باعتبارها أمه... كان ذلك هو منشأ الاقتراب منها والتعبد لها وكـــأن لسان الحال هو: "تكلمي أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا المسيح فنموت".

فقد صوروا المسيح بصورة المرهب البعيد المتعالي الذي هـــو نـــار آكلة. وصوروا أمه بصورة المتدانية القريبة العطوف الحنون التي تشـــفع فيهم وتصل بينهم وبينه... ووصل بهم الحال في القرون الوســـطي إلـــى عبادتها عبادة صريحة كما كان يفعل المريميون من قبـــل حتـــى أنـــهم خصصوا لها شهر مايو من كل سنة أطلقوا عليه "الشهر المريمي" ويكفـــي أن نضرب لذلك مثلاً واحدا من الصلوات المنقولة إلينا من ذلك التـــاريخ وفيها يناجونها بالقول: ":تعبدك الأرض يا خطيبة الآب الأبدي. تعطفـــي علينا يا مريم الحلوة واحفظينا بلا خطية من الآن وإلى الأبد".

أما ما ذهبت إليه الكثلكة حديثاً في شـــأن عبـــادة مريـــم وشـــفاعتها فيوضحه لنا كتاب "الابتهال إلى والدة الإله" وقد جاء فيه: "هلم نركع لـــها ساجدين ونصرخ من عمق القلب... هلمي أسرعي وخلصينا نحن الهالكين في الخطايا والمآثم، فلا تتركي الآن عبيدك مهملين لأنك أنت لنـــا عـــون ورجاء ثابت" (ص٦) وكذلك "إذ ليس لنا نحن الخطاة المنحنين من كـــثرة السيئات وسيطاً دائماً في الشدائد والأحزان سواك يا أم العلي لأجل ذلـــك نجثو إليك ساجدين، فانقذى عبيدك من كل شدة.. ويكتب في هذا الاتجـــاه الكاردينال الأمريكي جيمس جبونز فيقول: "لن يجد أحداً قبولا لصلواته إلا عن طريق "مريم" وورد عنها فى كتاب: مجموع التراتيل الروحية: "بأنـــها نخبة الأزل – بدعة البهاء – ملجأ الأمل" (ص١٠٢).

ولأنها وصلت إلى هذه الدرجة من الارتفاع، فقد رأوا بأنها تحتـــــاج هي الأخرى إلي وسيط ليوصل الناس إليها هكذا يقـــول كتـــاب تســـاعية عذراء بومباي – مطالبا لمن يتعبدون لصورة مريم الاستنجاد بالقديســـة كاترينة حتى يمكن الحصول بفضل وساطتها علـــى النعمـــة المطلوبـــة (ص٤).

أما كتاب "ساعة السجود الليلي" فيبين كيف يكون تعبدنا لمريم حقيقيـــاً وذلك بأن نحب كل ما يتعلق بعبادتها أي أيقونتها وأعيادهـــا ومســـبحتها ولنبتهل إليها بحرارة وتقوي ولو بصلاة وجيزة أو كلمة واحدة، وحينئـــذ تعتبرنا مريم من أبنائها وتشملنا بعنايتها طول حياتنا وتعزينا في ســـاعتنا الأخيرة، وتقدم هي بذاتها أنفسنا إلى أبنها الإلهي، إذ أنه يمكن أن يكون لنا في السماء ألف شفيع ولكن ليس لنا إلا أم واحدة.

ولذلك فأن الذين يهملون عمداً التعبد لمريم فـــلا يلجـــأون إليـــها ولا يقبلون توسطها وشفاعتها إن هؤلاء يجلبون على أنفسهم التعاسة والشـــقاء بابتعاد مريم عنهم وأنهم هالكون لا محالة!!

ولذلك فأن من بين ابتهالاتهم لها القول: " يا مريم يا نجمة الصبح (أو هذه بعينها هي كوكب الصبح) أسرعي إلى أغاثتنا... أيتها الأم الإلهيـــة أنقذينا... يا يسوع أنقذنا بواسطة مريم!!"

وهكذا اتخذ الكاثوليك العذراء مريم أقرب وسيط وشفيع لدي المســيح باعتبارها أمه فنادوا بتعظيمها مساوين بينها وبينه في كل شـــئ إلـــى أن اختفي يسوع وظهرت العذراء بدله .. صحيح أنها أمه – بحسب الجسد – ولها احترامها ولكن ليس على حسابه فأنه لا ولن يتباعد أو يتواري عنـــا. لأن غيابه بالناسوت الذي هو بموجبه غير منظور للعين المجـــردة لـــن يحرمنا من حنانه وذلك لحضوره معنا باللاهوت حضوراً روحانياً فائقاً...

ولكنهم غيبوه عنا غياباً مطلقاً محدداً إياه بذلك بسبب جسده الإنســاني الذي به يشابهنا غافلين عن وجوده المطلق والذي به حاضر بـــاللاهوت (وبروحه) مستبدلين إياه بحضور مريم العذراء والقديسين الراحلين!!

ورغم أن مريم حقاً "مباركة في النساء" و "جميع الأجيال تطوبها" كما سلف البيان إلا أنها هي بعينها المتواضعة جدا والتي ذكرت عن نفســـها للملاك عند بشارته لها "أمة الرب" (أي عبدته) وأعلنت كواحدة من الجنس البشري أنها تبتهج بابنها المولود منها لكونه هو الله الذي تشـــترك فـــي تعظيمه بقولها: "تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي"...

ولذلك فأنه يصعب حقا تصور امرأة تتمتع بمثل هذا التواضع البيـــن تظهر الآن في عالمنا اليوم منتحلة مثل هذه الألقاب الصلفة والإنجـــازات المتباهية التي ترفعها إلى مصاف الألوهية. من المثير للانتباه حقاً أنـــه لا توجد صلاة واحدة موجهة إلى مريم في الكتاب المقدس كله – ولا مثـــال واحد على مساعدتها المعجزية لأحد، ولا أتي وعد بأنها تستطيع ذلـــك أو ستفعله!!

*** موقف الأرثوذكس لا يختلف كثيراً عن موقف الكاثوليك :**

فهو ملئ بما يؤكد صعودها بالجسد – كالمسيح طبعـــاً – وشـــفاعتها وهى عندهم كفارية لانها تتضمن الغفران – وهي فعلاً كفارية كشـــفاعة

المسيح سواء بسواء – مع تعظيمها بعبارات وتسابيح قد تتفوق بها على المسيح نفسه لا أن تساويه فقط:

ولنبدأ بما قاله القمص زكريا بطرس في كتابه: "الأرثوذكسية مذهبي" في الصفحات ٤٤-٤٦: "أن إكرام القديسين بما فيهم العذراء مريم هو إكرام للرب نفسه.. كإكرام برابرة مالطة لبولس والذين معه (أع٢٨: ١٠)... وهذا الإكرام... لأنهم يصلون لأجلنا جميعهم...

ويأتي من بعده الأسقف غريغوريوس في كتابه "ظهور العذراء في كنيسة الزيتون" إذ يصفها فيه بأنها الحمامة الحسناء – التي تتماثل في ذلك مع ظهور الروح القدس (ص١١٨).

ثم يدعو الله أن يتولانا برحمته ورعايته بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات سيدتنا كلنا وفخر جنسنا البتول الزكية مريم العذراء (ص٧٣) وهو يستطرد إلى القول: ماذا يكون هذا الحمام؟

طالما أنه ليس حماماً على الحقيقة، فهو إذاً أرواح قديسين. وأما أن الروح تظهر في صورة حمامة فلأن الحمام يرمز إلى خفة الروح وسرعتها في الانتقال والحركة وسموها وقدرتها على عبور المسافات البعيدة فالروح القدس ظهر في نهر الأردن بهيئة جسمية مثل حمامة – والعذراء توصف في كتب الكنيسة وطقوسها بأنها الحمامة الحسنة، **وحتى المصريون القدماء في العهد الوثني صوروا الروح على المقابر والمعابد مثل حمامة (ص١٢٠) فيالها من استنباطات انتهت إلى تأييدها بما وجدوه عند الفراعنة!!**

أما الآب متى المسكين فقد قام بجمع الأوصاف التي تقال عن مريم من التقليد في كتابه الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ بعنوان: "العذراء القديسة مريم ثيئوتوكس (حاملة الإله)" ويبدأ باعتراف اليصابات بمريم بقولها: "أم ربي" بعد ارتكاض ابنها الجنين "يوحنا المعمدان" في بطنها وبحسب زعمه لأنه سمع صوت المسيح الجنين في بطنها ناطقاً سرياً مع صوتها ميزه يوحنا وهو في بطن أمه وابتهج.

ومن ثم فقد اعتبروها "قدس الأقداس" و"**المحراب**" ووصفوها بالنموذج الكامل للهيكل الجديد – أي الكنيسة، ومن ثم فقد قالوا فيها:

"مريم هي الهيكل السري – الهيكل المطهر– الهيكل غير المنهدم ويصفها القديس كيرلس الكبير بأنها الموضع الذي احتوى غير المحوى" وفي قداس باسيليوس عند الروم نجد القول: "صار بطنك له عرشاً وجسمك احتواه باتساعه الذي يفوق السماء".

وواضح أن لفظه "الاحتواء" هنا خاطئة لأن غير المحوى لا يحتوية شئ ولذلك فأننا نؤمن بحلول غير مقيد ولا منحصر، ومع ذلك فقد وصفوها بالممجدة ذات كل قداسة، بل أم القداسة التي ليس فيها أدنى عيب، بل وصفوها أيضاً "كلية القداسة"، مع أن الصفات الكلية هي جوهر إلهي لأنها لا نهائية وغير محدودة ولا تطلق إلا على الثالوث الأقدس... وقد جاء وصف لها لدي الأرثوذكس أنفسهم يناقض ما سلف ذكره ويمنع عنها التأليه والعبادة بأن أعلنوا عنها أنها ولدت حاملة لخطية آدم (ص٧٧) وهم يصفونها بالبطن الواقع تحت الحكم (أي الطبيعة البشرية الساقطة) ولكنه ولد لنا عمانوئيل بغير زرع بشر فنقض فساد جنسنا.. أن جسده الذي أخذه منها لم يتقدس بواسطتها وإنما بعمل الروح القدس وباتحاد لاهوته – **ولذلك منع امبروسيوس عبادتها بقوله: " فلا ينحرف أحد بالعبادة نحو العذراء مريم، لأن مريم كانت هيكلاً للإله وليست إله الهيكل، كما أنها لم تكن شريكة أبنها في الفداء حتى تكون شريكة معه في سجودنا وصلاتنا وعبادتنا**" – ولكن هل التزم الأرثوذكس بذلك حقاً!؟ أنهم يبحثون عن طرق لتكريمها أبعد جدا من حدود التطويب المقول عنه – وهو لا يزيد في معناه عن "الغبطة أو السعادة" وفي الترجمة الإنجليزية معناه "مبارك Blessed" مما جاء في بشارة الملاك لها بقوله: "مباركة أنت في النساء" **ولا علاقة لهذا كله بالتعظيم والتمجيد الموجهين إليها بسبب إعطائها لقب "ثيئوتوكس" "والدة الإله" بطريق الإطلاق المطلق وإمعاناً منهم في احتقار نسطور جمعوا بين المسيح والعذراء في كل**

شئ فكنت تري صورتهما في كل مكان: في البيوت والكنائس والأماكن العامة وعلى الملابس والتحف والأثاث والزينات الخ... واستناداً إلى ذلك قام مجمع أفسس بإضافة عبارة: "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء والدة الإله..." **في مقدمة قانون الإيمان النيقاوى مع أن التعظيم والتمجيد لا يكونا إلا لله وحده** (إش٤٢:٨).

ولقد كان ذلك في ظاهره ردا على نسطور، ولكنه في حقيقته إنما كان نوع من إرجاع العبادة المريمية التي كان القديس ابيفانوس في القرن الرابع **يحذر منها ويطلب عدم احترام مريم احتراماً أكثر مما يجب** ولكنهم تجاوزوا حدودهم في ذلك **وجعلوها صاحبة الشفاعة – التي تجلب غفران الخطايا – لكل المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك على حد سواء...** وهم يعلمون يقيناً إنها أم الناسوت فقط **وليست أصلاً للاهوت ولا أماً له فهي ليست لذلك أقنوماً رابعاً في اللاهوت** حتى تكون موضوعاً للعبادة والشفاعة – ومع ذلك وجدنا قداس باسيليوس سالف الإشارة يسترسل إلى القطعة التي تصفها بالخيمة الحقيقية التي فيها الله بل التابوت المصفح بالذهب الذي خشبه لا يسوس... لأنها تسربلت بمجد اللاهوت داخلاً وخارجاً... وهي لذلك غطاء التابوت ومحتوياته" (ص٣٢و٤١)... **وواضح أن تحويل رمز التابوت بأكمله إليها لا إلى المسيح في غير محله:** يشهد بذلك الآب متى المسكين نفسه في ذات المرجع بقوله: "لقد أضاف كثير من العلماء والكتاب الكنسيين أوصافاً أخري للعذراء تبدو في شكلها وألفاظها وتصويرها جميلة.. **ولكن أكثرها خاطئ ومنحرف وفيه افتئات على حقوق الرب يسوع بل وبعضها يضع العذراء موضع المسيح...** فتتبادل أوصاف كل منهما مع الآخر مما يشمئز منه الذوق اللاهوتي السليم (ص٢٥) مثل وصف مريم العذراء بكل ما ورد في خيمة الاجتماع دون فحص أو حذر مما نتج عنه أن ضاعت القيم السليمة وتشوشت الأوصاف الرمزية الحقيقية (ص٢٦).

وكأن كل هذا غير كاف فقد وصفت كذلك بالسماء التي أشرق منـــها شمس البر، سماء ثانية على الأرض، والينبوع الحي، باب المشـــرق، وأم النور المكرمة، والبرج الذي وجدوا فيه الجوهر عمـــانوئيل... والســـماء الجديدة التى تكلم عنها يوحنا فى سفر الرؤيا!!

ورغم ما في هذه الأوصاف من تجاوز للحدود الكتابية بل أن منـــها من لا يجوز أن يكون وصفاً سوى لله تعالي، إلا أنهم قد أضافوا إليـــها أوصافاً أخري في أنها: "فردوس الكلمة، والكرمة المثمرة- التي نقلتنا من الموت إلى الحياة – غذاء الجياع، والمنارة الذهبية،وعصا هارون، بل أن صيغة المبالغة في وصفها قد وصلت إلى القول بأنـــها الســـماء الســـرية الجديدة والسماء الحاملة للاهوت (ص٤١)، كما يقولون إنها السلم الـــذي رآه يعقوب، والعليقة التي رآها موسى، وعمود السحاب الذي كان يســـير أمام الشعب قديماً، والجبل الذي رآه دانيال وقد قطـــع منـــه حجـــر هـــو المسيح، والسحابة الخفيفة التى رآها أشعياء والله يركبـــها إلـــى مصـــر، والباب الذي رآه حزقيال مغلقاً، ولا يدخل منه إنسان لأن الرب دخل منـــه – وهنا استدراك لابد منه وهو مع أننا نجهل سر التجسد العظيم بـــالطبع **لكن التقليد – وهذا من شأنه – لابد أن يتطرف هنا فـــي وصـــف بـــاب حزقيال المغلق بأنه يؤكد بأن العـــذراء ولـــدت المســـيح دون مســـاس ببكارتها مخالفاً بذلك نص الإنجيل الذي يقول: "ولما تمت أيام تطـــهيرها حسب شريعة موسى" (لو٢:٢٢) وذلك لتحقيق حرفيـــة بتوليتـــها دون الاكتفاء بدوام بتوليتها** لأنها ولدت المسيح بدون زرع بشر – وذلك حتى تكون "كلية القداسة" و "القديسة كل حين".

ولكنهم إنما فعلوا ذلك حتى يمكنهم إنشاء أوصاف أخري لها مما ورد في تسبحتها الأحدية التي فيها يقولون لها: "أنت مضيئة أكثر من الشمس.. مجدك يا مريم أرفع من السماء وأكرم من الأرض وسكانها لأنـــك أنـــت

الطريق الحقيقي المؤدي إلى السموات. أنك مستحقة أكثر من جميع القديسين أن تطلبي عنا أيتها الممتلئة نعمة (بدلا من المنعم عليها) لأنك ترتفعين جداً أكثر من رؤساء الآباء ومكرمة أفضل من الأنبياء ولك دالة أكثر من الشاروبيم. فأنت بالحقيقة من أجل هذا صرت فخر جنسنا **وشفيعة أنفسنا أمام مخلصنا لكي ينعم لنا بمغفرة خطايانا، حتى نفوز برحمة بواسطة شفاعتك" (ص٧٣)**

واستطردوا من ذلك إلى وصفها:-

"بأنها الفردوس العقلي ومعمل اتحاد الطبيعتين، ويصل لحن البركة إلى وصفها أنها بستان العطر المطوبة عظمتها!! وأنها المكرمة أكثر من جميع المخلوقات لأنه صارت أما للخالق... وهو تعبير شبيه بوالدة الإله ومع الآسف بدون تحفظ كما سلف البيان!!

فقد مر بنا إنه إمعاناً من التقليديين في استبدال المسيح بالعذراء خلعوا عليها لقب "ثيئوتوكس"، ولا عبرة هنا بقولهم أن هذا اللقب قد أعطى لها لضبط مفهوم التجسد الإلهي، لأن هذا المفهوم ضبطه الوحي بالنصوص الكتابية التي لا تحتاج إلى تزيد التقليد عليها أياً يكون وصفه حتى لو قيل بأن الإنجيل نفسه قد اخذ منه، وقد أضافوا إلى ذلك "التقليد الآبائي" محور "التقليد الكنسي بوجه عام..."

والذي بموجبه نظمت التسابيح اليومية التي تتلي تكريماً للعذراء مريم وهي المعروفة "بالثيوتوكسياب السبع" لأنها على سبعة أيام الأسبوع، ويذكرها الآب متى المسكين في كتابه سالف الإشارة مقرراً بأنها ابتدأت من مجمع أفسس الذي أدخل ذكر العذراء أثناء تكريم صلاة القداس لقديسي الكنيسة بالقول :- "وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً العذراء كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم التي ولدت الله الكلمة الحقيقية، وكأنها هي التي ولدته مع النص الوارد عن ذلك في الإنجيل يؤكد بأنه هو الذي ولد منها (مت١:١٦).

والفرق كبير بين العبارتين، فالأولي منهما واردة من التقليـــد بينمـــا الثانية تضمنها نص الإنجيل..!!

ثم يصل الآب متى المسكين إلى القول:- "بـــان الكنيســة وضعــت مردات داخل القداس تختص بالعذراء مريم من أجل طلب شفاعتها لـــدي المسيح لمغفرة خطايا الشعب – الأول منها يقال على رأس طلب شفاعات العذراء مريم والشهداء والقديسين، والمرد الثاني ينفرد بطلـــب شـــفاعة العذراء مريم وحدها بالقول: "بشفاعات والدة الإله القديسة مريـــم يـــارب أنعم لنا بمغفرة خطايانا" (ص١٦).

وبعد فأنهم يعتبرونها "أم جميع الأحياء" ويطلبون على هذا الأســـاس شفاعتها المطلقة، لأنها لما ولدت المسيح آدم الثاني صارت به أما لكـــل حي كما كانت حواء من قبل، فهي الأم لكل الأعضـــاء المتحـــدة بجســـد المسيح، مع أنها بحسب الروح مولودة من المسيح ولا تعتبر أماً روحية له كقول أغسطينوس (ص٧٩) وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل فكيف إذا كـــان الأمر كذلك جاز أن يطلق عليها إذاً والدة الإله!!

ورغم هذا التناقض فإن الأنبا غريغوريس يقول في هذا الشأن: "لقـــد وجدت المرأة في امرأة محامياً عنها هي شفيعة حواء – ولقد جعلوا منـــها بذلك أماً جديدة للبشرية (الإنسانية الجديدة) ص٨١ ويـــأتي أوريجـــانوس مدللاً على ذلك بقوله: "كما قام المسيح بتسليم أمه ليوحنا، هكذا كل مـــن يريد أن تكون له علاقة محبة ودالة شخصية مع الرب عليـــه أن يتســـلم مريم منه لتكون أماً له هو أيضاً... وأمومتها لنا تفتح المجال لشـــفاعتها عنا..!!

وأما الآب متى المسكين فيصف شفاعتها من حادثة عرس قانا الجليل، يسمح بإعطائها الشفاعة ولذلك وضعت كنائس الـــروم صورتـــي مريـــم والمعمدان على يسار باب الهيكل (ويقال لها شفاعة لغفران الخطايا ومـــن ثم لا تكون توسلية كما يقولون).

وأما عن يمين الهيكل فهي توسلات باقي القديسين (ص٩٣) ومع ذلك فهو يقر بأنه ليس للعذراء استعلان خاص بها ولا عبادة خاصة ولا هي منوطة من قبل المسيح أن تدخل كنائبة عنه لتتعامل معنا ويستطرد إلى التعقيب الآتي:

"وهكذا يظهر خطأ الألفاظ التي اندست في كتبنا الطقسية سواء في الأجبية أو الخولاجي أو التسبيحة السنوية **التي تصور العذراء مريم كأقنوم إلهي وتدعوها مخلصة البشرية ورجاءها الوحيد، وغافرة الخطايا وفاتحة باب الفردوس وغالقة باب الجحيم، لأن هذه كلها أعمال قام بها الأقنوم الإلهي الثاني بمفرده فقط...** وهذه الألفاظ دخيلة على تقليدنا وتعتبرها الكنيسة عبئاً على الإيمان الأرثوذكسي وتحميلاً على العقيدة واللاهوت والعبادة بما لا يطاق...، فهي "زيادات غير ضرورية"!!(٣٥)، ومع كل هذا الذي يؤيد ما كشفناه عن "التقليد في حقيقته" بشهادة من كتب مؤيدا له تعود نغمته القديمة إلى القول: "بأنه ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح سوي بطلباتك وشفاعتك يا سيدتنا كلنا، فأنك قد وجدت نعمة أيتها العروس **لأنه أية امرأة على الأرض صارت أماً لله سواك أيتها الحسنة في النساء!! وتختمه بالدعاء الذي نصه: "اشفعي فينا يا سيدتنا كلنا والدة الإله ليغفر لنا خطايانا"** (ص١٠١).

هذه هي قصة التقليد في موضوع كرامات العذراء ورفعها إلى درجة المساواة بالمسيح، وأظنها أخطر قصة تعلقت بها – الكنائس التقليدية – على مدي التاريخ وإلى اليوم، وها نحن قدمناها تحت الأشعة الفاحصة لأقوال الكتاب المقدس!!

* * *

الفصل السادس

رفع العذراء لكي تكون ملكة السموات والأرض

"يسبغون وصف "الملكة" عليها" (مز٤٥)
"وصهيون مدينة الله المقدسة" (مز٨٧)
"والمرأة المتسربلة بالشمس" (رؤيا١٢)

*** ذروة درجة الرفعة التي نسبوها لمريم العذراء :**

يقولون أنها صعدت إلى السماء وأصبحت هناك "الملكة"، ومن ثم فقد أوجبوا على المسيح باعتبارها أمه أن يحترم دالتها عليه ويستجيب لطلباتها، ويقبل شفاعتها... **لأنها الآن ملكة السماء!!**

ولقد كانت هناك عبادة تقدم "للزهرة" التي كانوا يعتبرونها ملكة السموات- وكانت تعبد في اليونان وروما وبابل وفينيقية تحت أسماء مختلفة، **فوضعوا مكانها "العذراء" وحولوا عبادتهم لها وكان يطلق عليهم "المريميين" كما سلف البيان** – ومن المناسب أن نذكر هنا أن لفظه "زهرة بنت الصبح" كان اسماً للشيطان قبل سقوطه (أش١٤:١٢)، **ويؤكد المؤرخون أن بعض التراتيل القديمة هي تشبيهات واضحة للتراتيل التي للإلهة المسماة "بالزهرة"، وتوجهت إلى مريم، حتى أنه يوجد مشابهة عظيمة بين تلك التراتيل والمدائح الموجهة للعذراء في القرون التالية حتى أنهم سموها "الزهرة المقدسة"!!**

وقد وصفها الآب لويس برسوم الفرنسسكانى في كتابه: "تفسير الأناجيل المقدسة" بأنها: سلطانة الملائكة والأنبياء والرسل والشهداء والمعترفين والعذارى... **الملكة التي أخضع لسلطانها كل ما في السموات والأرض، التي نصب عرشها عن يمين عرش الملك الأعظم** (ص٣٤) ولذلك وصفها الأرثوذكس بأنها المصباح غير المنطفئ أبداً والتي في نورها يسير كل ملوك الأرض، فرح كل الأرض وسيدتنا كلنا التي تشفع فينا".

كما وصفوها بأنها "العروس" التي تزينت للحمل والتي لبست هذا المجد العظيم، والتي لا يمكن النطق بكرامتها، ووصل بهم الحال إلى اعتبارها "مدينة الله" و "المرأة المتسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وهو يوحنا المعمدان حسب رأيهم".

*** من تكون هذه الملكة التي جعلت عن يمين الملك في مزمور٤٥:٩**

وهم يبدءون بالقول: "كذلك نمجد العذراء لا كملكة السماء تجلس بمفردها، ولكن كملكة تقف عن يمين الملك.."

والتقليديون هنا يتجاهلون جميع القرائن الواردة في هذا المزمور حول هذا الموضوع ويقتبسون هذه العبارة فقط ليجعلوا تطبيقها قاصر على العذراء وأنها لذلك ملكة السموات والأرض".

لكن المزمور يتجه أصلاً إلى مسيا واستحقاقه في استلام عرشه لسموه الأدبي وانتصاره في المعركة على جميع أعدائه **وأنه قد آن وقت قرانه بعروسه التي ستصبح ملكة معه بعد ذلك الانتصار:** فهو أغنية محبة للاحتفال بهذا الزفاف الروحاني الفائق المقبل، والملكة التي عن يمينه مطلوب منها أن تعتبره سيدها وتسجد له **أي أنه هو الذي يحكمها – لا هي التي تحكمه – وعليها التسليم والخضوع لكل أوامره – عكس ما أرتاه التقليديون تماماً فى شأن مكانة العذراء مريم!!**

وفي الوقت الذي يشرح فيه داربى هذا المزمور بان الملكة هذه هي أورشليم، لأن اقترانها إنما هو بالملك لا بالحمل، ولأن هذا الاقتران لا يتقدم النصرة بل يتبعها ولأن مجد الملكوت لن يعتمد على ما كان عليه الآباء بل هو للأبناء الذين سيكونون رؤساء في كل الأرض كما ورد بالمزمور – **وهذا كله يجعل تطبيق نص وجود الملكة (العذراء) عن يمين الملك (المسيح) أمر غير وارد هنا ولا تؤيده قرائن هذا المزمور دون حاجة إلى استكمال شرحه بالمحظيات بنات الملوك والعذارى صاحباتها**...الخ

وقد سار أصحاب التفسير المقيد في هذا الاتجاه واستنبطوا منه وجود عروسين للمسيح "إسرائيل" و "الكنيسة" في حيـــن أن الأولـــي اعتـــبرت "زوجة مطلقة لأنها خانت يهوه" وأما الثانية فهي الكنيسة الحقيقية "العذراء العفيفة المخطوبة لعريسها المبارك" المسيح!!

وقد أشار سليمان بوجود "عروساً" واحدة وحيدة لعريسها الواحـــد – حسب ناموس وحدة الزواج – ومن ثم فإن تعليم "العروس" لا يجد إتمامـه الكامل إلا في استعلان الكنيسة الحقيقية كعروس للمسيح في جلال ومجـد كاملين (أف٢٥،رؤ١٢)، لأن العريس السماوي يريد عروساً نظيره كمـــا كانت حواء – وهي التي أحضرها الله تعالي – لآدم عروساً له بحســـب إعلان وقصد الله عنها، وهذه صورة مسبقة لاهتمامـــه تعـــالى بتكويـــن وإحضار عروساً لأبنه!!

ومن ثم فإن هذه العروس – الملكة – قد دفعت إلى اســـتعمال هـــذا المزمور بكثرة في الكنيسة المسيحية كإتمام حرفي للنبوة، إلى أن يرتفـــع صوت الهتاف والتسبيح للملك عندما يحين وقت عرسه العتيد فتسبحه كـــل السموات والأرض، وتكون عروسه الحقيقية مالكة معه.

إلا ينبغي أن هذا الارتباط بين المسيح والكنيسة الذي يتضمنه العـــهد الجديد ويجعله مسك الختام في آخر أسفاره وهو سفر الرؤيا يحرك فـــي قلوبنا نفس المشاعر التي نراها هنا في قلب المرنم!!

*** وأخيراً نقدم جوابنا عن من تكون المرأة المتسربلة بالشمس :**

فبالرغم من أن يوحنا مسجل سفر الرؤيا لم يقل: "ها أنا ناظر صورة أم ربي الممجدة في السماء" إلا أنه في رؤى الثـــلاث نـــافورات بروما المعلنة في ١٢ أبريل ١٩٤٧ بأنها: "عذراء الرؤيا وأنها اختـــارت الأب جربى ليكون من كهنتها، وأعلنت له بالإضافة لما تقدم بأن الكلمة يتخـــذ طبيعته البشرية من رحمي العذرى، وهكذا يمكنه أن يأتي إليكم بواســـطة

وظيفتي الحقيقية كأم ويجتذبني الروح القدس كمغناطيس إلى أعماق حياة المحبة بين الآب والابن، فتتغير هيئتي بشكل داخلي واتماثل معه جداً فاكون زوجة له ومن ثم فقد أعلن البابا بيوس السادس في منشورة البابوي عام ١٩٦٧ بأن: "سيدة فاتيما هي الإتمام الكتابي للمرأة المتسربلة بالشمس" (رعد العدالة ص٨٨، ٩٠).

* *

وهذه تطبيقات مختلقه لأنه بالرغم من أن النبوة لا ترجع إلى الوراء قط، فان اعتبارهم أن التنين هو هيرودس الذي أراد أن يهلك يسوع "بيد أن نجاة يسوع من هيرودس كانت بالهرب إلى مصر ونجاته من موت الصليب كانت بالقيامة من الأموات ولما أراد يسوع الصعود إلى الله وعرشه لم يكن ذلك للنجاة من عدو واقف له بالمرصاد بل ليرسل لنا المعزي ويعد لنا المكان ولما حان وقت صعوده أنفرد بأحبائه ولم يكن هناك من عمال الحية القديمة أحد – **ولا يعتبر صعوده اختطافاً بل هو صعود وذهاب بمحض إرادته الذاتية وليس بيد أخري خاطفة**" (مختار التعليم الخمسيني رقم ١ فبراير ١٩٦١ ص٣١) مما يؤكد أن المرأة الموصوفة في (رؤيا ١٢) هي الكنيسة العامة يؤكد ذلك انه لم يحدث قط أن الموصوف بالتنين (أي (هيرودس) وقف مباشرة تجاه المرأة مريم العذراء وابنها يسوع، الأمر الذي يرتبون عليه بأنها ملكة السماوات" – **ولكن هذا خطأ لأن القرينة ليست لها أية علاقة بالعذراء مريم المذكورة هنا** إذ نراها تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد– **والمخاض والوجع كليهما نتيجة الخطية ولكن المسيح حبل به – بلا خطية – من الروح القدس!!**

ولكي نتأكد من شخصية هذه الأم، نجدها بعد ولادتها "الابن الذكر" الذي تتمثل فيه "الباكورة" التي ستخطف باكراً قبل مدة ال١٢٦٠ يوماً – وهي مدة الضيقة العظيمة – تلد آخرين غيره ممن يسميهم الرائي "باقي

نسلها" وانهم يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المســـيح" (ع١٧) فمادام هذا النسل مرتبط بالرب يسوع المسيح، إذاً فالمرأة والابن الذكـــر هما أيضاً مرتبطان بالرب يسوع المسيح، **فكيف تكون هذه المرأة بـــالذات هي مريم العذراء!؟** وأين باقي نسلها من بعد ما تكون قد ولدت المســـيح على حد قولهم!؟ ومتي وأين هربت إلى البرية – مع أن هروبـــها إلـــى مصر هو المؤكد والمؤيد بنص الإنجيل..!!

* *

ومع أننا نكن للعذراء كل احترام ونطوبها صادقين، لأنها احتملـــت – وهي عذراء بريئة – التعيير عندما عرف عنها أنها حبلي، فاحتملته فـــي صبر وصمت يفوق ما يماثلها في أي شخص آخر غيرها، خصوصاً وأن يوسف النجار خطيبها كان هو في شك وأراد تخليتها أي تطليقها، ومـــع ذلك فهى لم تحاول الدفاع عن نفسها وتبرير موقفها، مع انه كان بالإمكان أن يؤدي بها ذلك إلى الرجم بالحجارة بحسب شريعة موسى!!

وقد أظهرت بذلك بطولة نادرة لأنها تركت للرب أن يدافـــع عنـــها.. ولكننا من جهة أخري نتساءل: **متى كانت مريم متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها ومكللة باثني عشر كوكب!؟ ومن الذي قال بأن التنين كـــان على وشك أن يبتلع المسيح عند ولادته من مريم!؟ وهل حقـــاً اختطـــف المسيح إلى الله وإلى عرشه بعد ولادته!؟ وهل هربت مريم العذراء إلـــى البرية وتمت أعالتها لمدة ١٢٩٠ يوما فيها بعد ولادتها للمسيح – ومـــا هو اسم الموضع الذي هربت إليه وما هو الطريق الموصل إليه!؟**

وهل اضطهد التنين مريم بعد ولادتها للمسيح – كيف وأين!؟ وهـــل حقاَ أعطي لمريم جناحي النسر العظيم لكي تطير بهما إلى البرية.. مـــن وجه الحية!؟ وهل حدث فعلاً أن ألقت الحية من فمها ماء كنـــــهر وراء مريم لتجعلها تحمل بالنهر!؟ ومتي رأينا الأرض تفتح فمها وتبتلع النـــهر

الذي ألقاه التنين من فمه وراء العذراء مريم!؟ ومتى غضب التنين على العذراء مريم وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها – ومن هم هؤلاء الذين يوصفون بذلك!؟

وبعد هذا الامتحان السهل نجد أنفسنا ملزمين بالقول بأن هذه المرأة الموصوفة في (رؤيا ١٢) ليست مريم العذراء!؟

وأن التخريجات التي قالها التقليديون عنها بأنها "ملكة السموات والأرض" ليس لها إثبات يؤكدها من كلمة الله **وأنهم بذلك كما أخفوا المسيح ابنها من قبل ووضعوها مكانه قد أخفوا كذلك الكنيسة الحقيقية عروس المسيح التي ستملك معه ووضعوا مريم العذراء مكانها**، مع أن المسيح نفى ما زعموه عنها بقوله في عرس قانا الجليل: "ما لي ولك يا امرأة" (يو٢:٤) وهذا نوع من الصد الشديد الذي يبين أن المسيح رفض أن يجعل رسالته الإلهية تقوم على علاقته بأحد من الناس ولو كان أمه، وقد أظهرت العذراء بأنها خادمة له فقط بقولها: "**مهما قال لكم فافعلوه**" وقد أظهر ذلك بجوابه على من اخبره بان أمه وأخوته يطلبونه بقوله: "**من هي أمي ومن هم أخوتي** ... ورفض بذلك أن يقابل أمه لانشغاله برسالته عنها.. **لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو آخي وأختي وأمي**" (مت١٢:٤٦-٥٠).

وقد رفض فكرة تمجيد أمه لكونها أمه وحول التطويب للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه (لو١١:٢٧) فليته يجد في زماننا الحاضر من هم هكذا من هذا النوع، ممن كتبت لهم ولأجلهم هذه الشروحات المتضمنة الحق الإلهي فى هذا الموضوع الخطير وهو : "هل تتساوى مريم العذراء بالمسيح!!

تم هذا الكتاب بعونه تعالي في نهاية شهر نوفمبر عام ٢٠٠٠

المراجع

١- كتاب العذراء القديسة مريم "ثيئوتوكس" للآب متى المسكين.
٢- العذراء في الزيتون.. للأنبا غريغوريوس.
٣- مقالات عن العذراء في جريدة الأهرام والميدان ومجلة روز اليوسف.
٤- الألوهية من وجهة نظر المسيحية للمؤلف.
٥- المسيح إنسان أم اله لمجدى مرجان.
٦- تعليم كنيسة الإسكندرية.
٧- تاريخ الفكر المسيحي للدكتور حنا الخضري.
٨- ريحانة النفوس في أصل الاعتقادات والطقوس للقس بنيامين شيندر.
٩- الله ذاته ونوع وحدانيته للراحل عوض سمعان.
١٠- المسيح الدجال لمجدى صادق.
١١- المجلات الكاثوليكية : الحياة، الزمن، رعد العدالة.
١٢- الأرثوذكسية مذهبي للقمص زكريا بطرس.
١٣- مختار التعليم الخمسيني للقس بطرس لبيب.
١٤- موسهيم وآخرين في تاريخ الكنائس القديمة.
١٥- مجلات أمريكية وموسوعات دينية.
١٦- العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس صموئيل بندكت.

الفهرست

صفحة

مدخل : مقال مبدأي يكشف عن مواقف معينة تجاه العذراء. ٣

تصدير: طلب بحث مساواة العذراء بالمسيح أمام بابا الفاتيكان. ٦

الفصل الأول : الموقف الإنجيلي المعتدل يمثله الخمسينيون الأحرار. ١٣

الفصل الثاني : كرامات مريم العذراء التي مهدت لعبادتها. ٢٠

الفصل الثالث : الأعياد المريمية وسيلة مساواة مريم بالمسيح. ٢٧

الفصل الرابع : ظاهرة ظهور العذراء وفتح الباب لتمجيدها للتساوي مع المسيح. ٣٧

الفصل الخامس : عبارات التعظيم التي أتموا بها مساواة العذراء بالمسيح. ٤٥

الفصل السادس : رفع العذراء لكي تكون ملكة السموات والأرض. ٥٧

المراجع : ٦٣

الفهرست : ٦٤

القس صموئيل مشرقى

هذا الكتاب

هو الشرح الجامع المانع لقضية تحديد مركز العذراء مريم فى المسيحية وهل هى تتساوى فيه مع المسيح .. وخاصة وقد شغل موضوع ظهوراتها فى العالم وفى أنحاء متفرقة من بلادنا ، كافة الجرائد والمجلات وجميعها يحاول أن يحل لغز هذا الظهور وفى معظم الحالات لم يمكن البت بصحته بصورة قاطعة تنهى كل شك . والحيرة تزداد بالنسبة لأسبابه التى أوردها بعضهم ضمن أبحاثهم . دون سند من الكتاب المقدس لما ذهبوا إليه .

ومع أن معظم المسيحيين بطوائفهم بل وغيرهم يوقرون ويبجلون ويحبون السيدة العذراء مريم . ولكن أكثرهم قد فاته حقيقة مركزها وهل يصل إلى حد المساواة بالمسيح وترشيحها لتكون أقنوماً رابعاً فى اللاهوت مما يسىء إلى " التثليث المسيحى " نفسه بل ويفسده !! والاختلاف من جهة تكريمها لحد عبادتها بتوجيه التسبيحات اليها يعتبر ضئيلاً بين الأرثوذكس والكاثوليك ولكن ازاء تطرف الكاثوليك يتعقل الأرثوذكس من عبادتها مع أن الفرق بين الفريقين لايكاد يذكر أما الإنجيليين فموقفهم غير واضح وربما اتجه إلى التطرف العكسى مماظهر فيما كلفوا به أحدهم من غير الخبيرين فى هذا المجال الخطير بكتابة نبذه واهيه بعنوان " الإنجيليون والسيدة العذراء " ومن هنا جاء التكليف بهذا البحث الفريد فى نوعه والمقدم لكل شخص له الضمير الصالح الذى يتم به احترام الحق الكتابى وقبوله قبولاً مطلقاً لإنه هو الحقيقة بعينها وهى أبقى من الزمان وأخلد !!

الثمن ٣ جنيه